النجف الأشرف

السنة السادسة عشرة - العدد ١٦٦- شهر رجب - ١٤٤٠ - آذار ٢٠١٩

قبل أن يموت

أهل الكوت من الجوع.. استسلم الانكليز

التلوث

يهاجم دجلة والفرات

16th Year Issue No:166-2019

العتبة العباسية المقدسة

شركة نور الكفيل

للتجارة العامة والانتاج الحيواني والصناعات الغذائية
وانتاج الألبان والعصائر والمثلجات وتصنيع اللحوم المحدودة

العلاقات العامة والمتابعة | 07801966624 | E-mail : hq@islamicalkafeel.com
التسويق والمبيعات | 07801966622 | www.islamicalkafeel.com | net | org

في كل مائدة

أول الكلام

السيد ليث الموسوي

رصيدك

طالما سمعنا عن علماء الاجتماع قولهم: «إن القلق مطّرد مع زيادة تعقيد الحياة وتضاعف حاجاتها»، وكما يبدو أن هذه الحقيقة لا نقاش فيها، خصوصا بعد أن توغلت الماديات في جميع مفاصل الحياة، ومن أظهرها إتاحة التقنية الحديثة القدرة على تواصل الأفراد مع (أي شيء) وفي (أي مكان) من العالم.

فأصبحت هذه التقنية من أعظم مصادر القلق بالنسبة إليهم، فبمجرد شحن رصيد الجوال للاشتراك بخدمة الاتصال أو الانترنت يدب القلق - في روع المستخدم - ويرتاب من حلول وقت نفاد رصيده، فنفاده يعني الانقطاع عن العالم أجمع!

وهذا التعلق المسبب للقلق ليس مذموما بحد نفسه، ما لم يتحكم بالفرد ويطغى على نقاء روحه، فيغفل عن أمر يسترعي أيضا الانتباه والقلق والارتياب، وهو نفاد رصيده من الحياة نفسها!

فهل منا من يساوره القلق حين تمر عليه الليالي والأيام؟

من منا يرتاب حين تنصرم عن عمره سنة ويستقبل أخرى؟

وهل يبعث ذلك فينا مراجعة ما أحدثناه على صفحات سجلنا؟

هل نستشعر أن أنفاسنا هي بمثابة (السنتات) حين نزفرها ينقص رصيدنا من الحياة بمقدارها؟

وهل يداخلنا الوجل حين يطرق أسماعنا قول سيد الخلق: (لا يزول قدم ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه ....)؟

فما علينا - والحال هذا - إلا تعبئة رصيدنا من الحياة بالقيم الفاضلة وحسن الخلق والتمسك بالمبادئ الحقة..

فندفع بذلك قلقنا من نفاد رصيدنا (الحياتي)!

النجف الأشرف

العدد (١٦٦)
شهر رجب ١٤٤٠هـ

شهرية- اجتماعية - ثقافية - عامة - أُسست في ٢٠ نيسان ٢٠٠٣

رحلة ثقافية في ستين صفحة..

تصدر عن مؤسسة المرتضى للثقافة والإرشاد رقم الاعتماد في نقابة الصحفيين (٤٠٠) لسنة ٢٠٠٩

13 تحقيقات

مشاكل الرافدين تتفاقم، فمن قلة الإمدادات المائية إلى إرتفاع نسبة الملوحة، لكن ظاهرة التلوث التي طالت دجلة والفرات لعلها لا تقل وطأة عن سابقاتها، لما تسببه من مشاكل صحية تطال العراقيين أجمع، ومشاكل اقتصادية اضرت بالثروة الحيوانية، لذا لا بد من وقفة جادة في وجه التلوث الذي غير وجه الفرات.

26 فلوكلور

الشياج طريقة صيد كان يمارسها أهل الأهوار، تتميز بحرفية وتقنية جميلة، لكنها انقرضت ولم يعد أحد يزاولها، مجلة النجف الأشرف تحاول إحياء تلك الطريقة التي تمثل سلوكًا تاريخياً إجتماعيًا لأهوار العراق.

32 آلة الزمن

القطيع الأسود دولة حكمت العراق وأطرافه، أكثر من ستين عاماً، كانت مليئة بالأحداث الفارقة، تأثر الكثير من أمرائها بالتشيع حتى أقر أميرها آسفند بعد استبصاره أن مذهب التشيع هو المذهب الرسمي للعراق، وسك العملة بأسماء الأئمة(ع).

أبواب العدد:

- رمزيات
- قراءة في كتاب
- أنساق معرفية
- واحة الدين
- بانوراما
- تحقيقات
- حديث الصورة
- فولكلور

اتصل بمجلة النجف الأشرف

+ 964 780 779 0073

رئيس مجلس الإدارة
السيد محمد حسين العميدي

رئيس التحرير
ليث الموسوي

مدير التحرير
غيث شُبر

المحررون والكتاب

عدنان الياسري — أ.د. صادق المخزومي
باسم الساعدي — سليم الجبوري
تحسين عمارة — موفق الهاشم
حسن الجوادي — أمير البركاوي
غزوان العيساوي

الإخراج الفني
مقدادغرافيك - سوسن المقداد

مجلة النجف الاشرف

Website:
www.alnajafalashraf.net
www.alnajafalashraf.org

E.mail:
najafmag@gmail.com

P.O.Box: 365

مؤسسة المرتضى للثقافة والإرشاد
النجف الأشرف - نهاية شارع الرسول(ص)

رمزية «وارث» في الزيارة

بقلم: أ.د. صادق المخزومي

الوراثة منحى ظهر على مسرح الجدل بين اتجاهين من المسلمين حول الإمامة والخلافة، وأضحى بنية من بنيات الفكر الإسلامي، وأصله الخلاف بين الخليفة أبي بكر وفاطمة الزهراء في قراءة إرث الرسول الأكرم، وكانت النتيجة أن حرمت فاطمة من إرث أبيها، وكانت قد دافعت عن حقها في خطبتها: «إيها، معاشر المسلمين، أ أبتز إرث أبي؟، أبى الله أن ترث- يا ابن أبي قحافة- أباك، ولا أرث أبي، لقد جئت شيئا فريا»[1]؛ واستشهدت بآي من القرآن حول إرث الأنبياء في حضارات سابقة: ﴿وورث سليمان داوود﴾(النمل١٦)؛ وفي دعاء زكريا: ﴿فهب لي من لدنك وليا﴾ ﴿يرثني ويرث من آل يعقوب﴾ (مريم ٥- ٦).

يشكل إرث النبي(ص) منحى عقديًّا عند الشيعة، بأنه مقصور على الأئمة أهل البيت، اصطفاهم الله، وطهرهم، وجعلهم ورثة النبوَّة، وموضع الخلافة، وأوجب لهم الفضيلة، وألزم العباد لهم الطاعة[2]، بل إنّ ورثة النبيّ وأوصياءه لهم الأفضليّة من باقي الأنبياء والمرسلين[3] والملائكة[4]. يستندون في ذلك على قول الرسول(ص): «يا عليّ إنّ الله- تبارك وتعالى فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقرّبين، وفضّلني على جميع النبيّين والمرسلين، والفضل بعدي لك، يا عليّ، وللأئمّة من بعدك»[5].

عُنيَ التراث الشيعيّ بزيارة «وارث» عناية كَبيرة، فهي من أقدم نصوص الزيارات، عن الإمام الصادق في خصوصِ زيارة الإمام الحسين، وردت غير مرة، أولا: في حديثه المفضل بن عمر[6]، ثانياً: في حديثه أبا حمزة الثمالي[7]، ثالثا: في حديثه حنان بن سدير الصيرفي[8]. طفقت «وارث» على سطح التدوين في موارد التراث الشيعي إبّان منتصف القرن (٤هـ/١٠م)، عصر ازدهار الزيارة إلى مشاهد أهل البيت، ذكرها ابن قولويه (٣٦٨/ ٩٨٩) بسنده، وتبعه الطوسيّ (٤٦٠/ ١٠٧٤) وأصحاب كتب المزار[9]، في حين لم يذكرها الكلينيّ (٣٢٩/ ٩٤١)، ولا الصدوق (٣٨١/ ٩٩٢) وكذلك لم يذكرها المفيد (٤١٣/ ١٠٢٢)؛ إلا أنّها ظلت من أهم النصوص، إذ اكتسبت معنى، شملت خلاله أغلب الزيارات إلى الأمام الحسين عند الشهيد الأول[10]، نحو زيارة: ليلة الفطر، ويوم عرفة، وعيد الأضحى، والنصف من رجب. توسعت دائرة العناية بنص

١- الجوهري، أحمد بن عبد العزيز (٣٢٣/ ٩٣٥) السقيفة وفدك، ص١٠١؛ القاضي النعمان المغربي (٣٦٣/ ٩٧٤)، شرح الاخبار، ٣٦/٣؛ ابن طيفور، ابن أبي طاهر (٣٨٠/ ٩٩٠)، بلاغات النساء، ص١٦؛ الطبرسي، الاحتجاج ٢/ ١٣٨. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ١٦/ ٢١٢.

٢- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ١٥/١٧٤.

٣- الحيدري، كمال، علم الإمام، قم، ٢٠٠٨، ص٤٤٠.

٤- الشريف المرتضى، الرسائل ٢/١٦٥.

٥- الصدوق، أخبار الرضا ١/٢٣٧، علل الشرائع ١/ ٥، كمال الدين، ص٢٥٤؛ الحر العاملي، الفصول المهمة في أصول الأئمة ١/٤٠٩

٦- ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٣٧٥.

٧- ابن قولويه، م. ن. ص٤٠١.

٨- ابن قولويه، م. ن. ص٤٨٣.

٩- الطوسي، مصباح المتهجد، ص٧٢٠؛ المشهدي، المزار، ص٣٧٥، ٤٢٢، ٤٣٠، ٤٣٦، ٤٦٢؛ ابن طاووس (٦٦٤هـ)، إقبال الأعمال ٢/٦٣، ٣/٧٠، اللهوف في قتلى الطفوف ٢/٧؛ الشهيد الأول (٧٨٦هـ) المزار، ص١٢٤، ١٥٦، ١٧١؛ الكفعمي، المصباح، ص٥٠٠، ٥٠٢.

١٠- المزار، ص١٢٤، ١٥٦، ١٧١.

«وارث» في القرن (٧هـ/ ١٣م)، حينما وُظِّفت في زيارة الامام عليّ (٢٧ رجب)[١١]؛ ويبدو مرجع ذلك إلى أنه: أولاً: مرموز له في نصٍ وارث «يا وارث أمير المؤمنين ولي الله»، وثانيا: إلى لفظ في زيارة أمير المؤمنين عند أقدم الشيوخ، الكليني[١٢]: «السلام عليك يا وارث النبيين». بيد أنّ العناية بنص «وارث» أخذ مجالا أوسع، إذ وظف في زيارة الإمام الثامن عليّ الرضا، ولا سيّما عند قدماء الشيوخ[١٣] ـ أيضا.

ثمّة اختلاف في بعض جمل نص «وارث»، أو ألفاظه عند المصنفين، بل إنّ أقدمهم ابن قولويه، الذي أورده غير مرة، كانت لا تخلو من اختلاف، ويبدو مرجع ذلك لتعدد الروايات عنده. كان جديرًا بالباحث أنْ يختار نصًّا، أكثرها شمولا للمعاني، وأقربها للنصوص في المصنفات الأخرى، وأكثرها شيوعا اليوم[١٤]، لذا تم اختيار نص ابن قولويه[١٥] زيارة وارث عن الإمام الصادق في حديثه للمفضل بن عمر.

يسجل نص زيارة وارث تمثلات وراثة الإمام الحسين أفضل الأنبياء والرسل، نحو: آدم، نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، محمد؛ فهو بهذا ورث جميع الأنبياء بكل مكانزهم السيمائيّة، مبتدئا بتحيّة الإسلام: «السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ آدَمَ صَفْوَةِ اللهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ نُوحٍ نَبِيِّ اللهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ إبْراهِيمَ خَلِيلِ اللهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ مُوسى كَلِيمِ اللهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ عِيسى رُوحِ اللهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ مُحَمَّدٍ حَبِيبِ اللهِ»؛ ثم يؤكد وراثته لأهل البيت المطهَّرين، أصحاب الكساء الذين سبقوه إلى الله: «السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ عليٍّ وصي رسول الله[١٦]، السلام عليك يا وارث الحسن الرضيّ، السلام عليك يا وارث فاطمة بنت رسول الله».

إنّ لفظ الوراثة المتكرر يسهم في تكريس الحسين وتأهيله إلى سمات روحيّة وعمليّة، تبيّن مفاهيم التكامل الديني والقيميّ مع النهضات النبويّة عبر التاريخ، وتفسّر المسافة بينه وبين الذات الإلهية، فكان حقيقا بتسمية «شهيد الله» وما تحيق به من توصيفات: «السلام عليك أيها الشهيد الصديق، السلام عليك أيها الوصيّ، البار، التقيّ»؛ وينتهز ديمومة وجود الأرواح المحدقة تحت أديم سمائه، والمحلقة في فضائه، من شهداء وملائكة وزائرين، فيقدم لهم العرفان: «السلام على الأرواح التي حلت بفنائك، وأناخت برحلك، السلام على ملائكة الله المحدقين بك»؛ ومن ثمَّ ينتقل النص إلى إقرار الزائر نفسه بما شهده من إمكانات دالة على عظمة الإمام، الذي منحه قيد نفسه، على ما أتقنه من نظم عباديّة، حظي خلالها بوسام التقوى واليقين: «أشهد أنك قد أقمت الصلاة، واتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، وعبدت الله مخلصًا، حتى أتاك اليقين، السلام عليك ورحمة الله وبركاته».

وصيغة «أشهد» طالما تطالعنا في نصوص الزيارات، تجسّد الحاضر في الماضي، تربط أواصر الجزاء بالعمل، وأحاسيس الألم بالأمل؛ ترمز إلى جودة الإنجاز القيميّ للولي في التبليغ، والنصيحة، والوفاء بالعهد مع ربّه؛ تعبّر عن ماهيّة الامتثال النفسيّ والوجداني للزائر في حضرة المزور، ففي زيارة الحسين[ع]: «أشهد أنّك بلّغتَ، ونصحت، ووفيت، وأوفيت»[١٧]؛ وفي زيارة العباس بن علي: «وأشهد الله أنّك مضيت على ما مضى عليه البدريون والمجاهدون في سبيل الله... فجزاك الله أفضل الجزاء، وأكثر الجزاء، وأوفر الجزاء، وأوفى جزاء ممن وفى ببيعته، واستجاب له دعوته، وأطاع ولاة أمره»[١٨].

لم يحدثنا النص عن أية ذاتيّة من ذاتيات الحسين، من أحاسيس ومشاعر أنويّة، الا بقدر العلاقة التمازجيّة بالذات الإلهيّة، وإنّما تحدث عن عبوديّة الحسين لله وتقواه، إشارة إلى أن الله يريدنا ألا نتوجه إلى الناس مباشرة، بل أن نتوجه إلى الله أولا[١٩]، وإن ما توافرت للمزور من أبعاد قدسيّة، فهي مستمدّة من قدسيّة الله، التي تمثل هالة الاستشفاع بأنبيائه، وأوليائه لمن لاذ بالبقاع المقدسة.

ثمة عبارة ترد في أواخر الزيارة تجسّد علاقة تفاعليّة بين الزائر وأهل البيت، ترسم مصداقيّة القصد، وتهيّئ إيجابيّة الهدف، بصيغة يتماهى في بودقتها الدعاء البشريّ والجعل الإلهي: «واجعل لي لسان صدق في أوليائك المصطفين»؛ وتمكين عاطفيّة النهج، وحيويّة الطاقة، وتوكيد التبعيّة المستمرة[٢٠]: «وحبب إليّ مشاهدهم، والحقني بهم، واجعلني معهم في الدنيا والآخرة»[٢١]. فهي أشبه بدعاء إبراهيم إلى أثافي الزيارة: بيت الله، الذريّة الطاهرة، الناس؛ بأن يتمازجوا في محراب الدنيا والآخرة ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾(إبراهيم٣٧).

١١ـ المشهدي، محمد بن جعفر (٦٤٥/ ١٢٤٧)، المزار، ص٢٣٠، ٢٤٦، ٢٥٦؛ الشهيد الأول، المزار، ص١٠٠.
١٢ـ الكافي ٤/ ٥٧٠؛ ابن طاووس، اقبال الاعمال ٣/ ٧٠؛ المجلسي، بحار ٩٨/ ٣١٣.
١٣ـ ابن قولويه، كامل الزيارات، ص٥١٧؛ الصدوق، من لا يحضره الفقيه ٢/ ٦٠٤؛ عيون أخبار الرضا ٣/ ٣٠٢ المفيد، المزار، ١٩٧؛ الطوسي، التهذيب ٦/ ٨٨؛ المشهدي، المزار، ص٥٤٨، ٦٥١؛ الشهيد الأول.، المزار، ص١٩٦.
١٤ـ عباس القمي، مفاتيح الجنان، ص، ٤٥٠، ٥٦٨، ٦١٣، ٦٢٥، ٦٣٠، ٦٤٧، ٦٥٣، ٦٥٩، ٧٣٣.
١٥ـ كامل الزيارات، ص٣٧٥.
١٦ـ يا وارِثَ أمِيرِ المُؤْمِنِينَ ولِيِّ اللهِ. المفيد، المزار، ص١٩٧؛ الشهيد، المزار ١٢٣، ١٧١، ١٩٧؛ الكفعمي، المصباح، ص٥٠٢.
١٧ـ الكليني، الكافي ٤: ٥٧٦.
١٨ـ ابن قولويه، كامل الزيارات، ٤٤١.
١٩ـ العاملي، جعفر مرتضى، خلفيّات كتاب مأساة الزهراء[ع]، بيروت، ١٤٢٢هـ، ٢/ ١٨٠.
٢٠ـ «وتجعلني لهم تبعا في الدنيا والآخرة». كامل الزيارات، ص١٠١، ٣٨٧؛ مصباح المتهجد، ص٧٤٣.
٢١ـ ابن قولويه، كامل الزيارات، ص١٠٠، ٣٨٧، ٤٢٩؛ الصدوق، من لا يحضره الفقيه ٢/ ٥٩٠؛ المفيد، المزار، ص٨٠، ١٠٧؛ الطوسي، تهذيب ٦/ ٢٧، ٥٨.

محطات مهدوية:

ومنا المهدي الذي يقتل الدجال

من مقالات سماحة السيد محمد علي الحلو(رحمه الله) التي لم تنشر

لم تنته واقعة عاشوراء بمصرع الحسين بن علي(ع) بل كانت لحظة البداية لمواجهة عنيفة بين خطين متباينين متحديين، أحدهما قال صدق الله، والآخر قال كذب الله، كما في تعبير الإمام الصادق(ع) الذي يشير للأولى بأطروحة آل علي والثانية بالأطروحة السفيانية التي تشكل أكبر تحد للحق وأهله.

كانت مهمة الإمام زين العابدين(ع) إكمال حالة التحدي والمواجهة التي بدأها الإمام الحسين(ع) والتي تضمنت فضح الخروقات الأموية التي ارتكبها آل أبي سفيان، فقد حاول الإمام زين العابدين تجسيد مظلومية كربلاء من خلال محطات النعي، مشاهد القتل، بيان التنكيل، موارد الظلم، وقفات الفاجعة إلى غير ذلك من الاثارات التي مارسها الإمام زين العابدين مع الظالمين لاستنهاض ذاكرة الأمة واسترعاء تنبيهها لما جرى على سيد الشهداء وآله الطاهرين مما تركت الأثر الكبير على الأمة في شج ورفض آل أبي سفيان نظاماً ومنهجاً وفكراً وثقافة.

ولم تمنع حالات التنكيل والظلم التي مارسها بنو أمية حيال الإمام زين العابدين وعيالاته من أن يقف الإمام موقف التحدي، ففي بيان تحديه أظهر شجاعة منقطعة النظير لنظام ارهابي مستبد ينظر إلى الإمام؛ أسيراً أنهكته نتائج المعركة وشهادة آل بيته، في حين يقف متحدياً وسط البلاط الأموي ليصرخ صرخته (ومنا المهدي الذي يقتل الدجال) فالتهديد الذي يستنبطه خطاب السجاد(ع) في ذكر المهدي رسالة واضحة في إشعار النظام بأن وراء هذه الفاجعة حركة الثأر وعلمية الانتقام الالهي على يد منقذ هذه الأمة والذي سيقتل الدجال، وكأن رمزية الدجال تشير إلى الانظمة المستبدة المتسلطة على الأمة ومنها بنو أمية.

إن حضور الإمام المهدي(ع) في المشهد الحسيني أرفد نهضة الإمام الحسين بُعداً آخراً يضيف إلى الابعاد النهضوية التي تميزت بها حركة الإمام، كما أننا نجد رفداً مهدوياً في حركة الإمام الحسين، ورفداً حسينياً في حركة الإمام المهدي(ع)، أي أن هذا التبادل يعطي للحركتين مديات الاصلاح والتغيير التي تنشدها الاطروحتين، لذا فانك تجد مفردة الخطاب الحسيني حضوراً للإمام المهدي في كل تفاصيل حركته، وهذا ما نجده في خطابات الإمام علي بن الحسين(ع) فهو المتمم لثورة الإمام الحسين(ع) ففي كثير من أحاديثه يؤكد الإمام زين العابدين(ع) على أحاديث الظهور للإمام المهدي(ع) كونه هو المكمل لنهضة أبيه الحسين(ع) وأن علامات الظهور هي المرحلة الثانية من الثقافة المهدوية، في حين لم يتحدث الإمام عن إثبات قضية الإمام المهدي كونها مفروغاً عنها، لكنه يؤكد على علامات الظهور التي ستعطي بُعداً آخر من صدقية القضية المهدوية، وبذلك فسيكون الإمام المهدي الحاضر الشاهد لمجريات عاشوراء التي ما فتئت تأخذ مأخذها من خطابات الإمام(ع) الذي عبّر عن عزائه بقوله: (لأندبنك صباحاً ومساءً، ولأبكين عليك بدل الدموع دماً) فما أشد فجيعتك أيها الموتور بآبائك.. يا ثار الله؟!

استسلام الإنكليز عام ١٩١٦

بقلم المهندس الاستشاري: تحسين عمارة

هذه الصورة ـ اللوحة ـ تبين استسلام الإنكليز للجيش التركي بعد حصار الكوت عام ١٩١٦، وتبدأ الحكاية من احتلال الإنكليز للفاو عام ١٩١٤ أثناء الحرب العالمية الأولى، وذلك عندما أرسل الإنكليز حملتهم الصغيرة إلى مصب شط العرب ولم يكونوا في البداية يقصدون احتلال العراق كله، بل كان جل مقصدهم حماية حقول النفط في عبادان.

لكنها اندفعت في التوغل من جراء الانتصارات الأولى التي نالتها تجاه الاتراك، فكانت تلاحق الاتراك بعد كل موقعه.

وفي النجف عقد اجتماع حافل في جامع الهندي حضره الكثير من العلماء والوجهاء ورؤساء العشائر، وخطب فيه السيد محمد سعيد الحبوبي وغيره، حيث ذكروا وجوب مشاركة الحكومة المسلمة في دفع الكفار عن بلاد الإسلام، وفي ١٦ كانون الأول ١٩١٤ صعد السيد كاظم اليزدي في الصحن الشريف وخطب في الناس حاثا لهم على الدفاع عن البلاد الإسلامية.

وغادر السيد محمد سعيد الحبوبي مع عدد من المجتهدين النجف متجهين الى جبهات القتال، وحدثت معركة الشعيبة وكان الأتراك يقاتلون جنب المجاهدين وقد انضمت لهم العشائر، وانتهت المعركة بانتصار الإنكليز.

في ٢٦ تشرين الأول ١٩١٥ تلقى القائد الإنكليزي طونزند الأوامر بالزحف نحو بغداد، لكن الأتراك حاولوا صد الهجوم في معركة سلمان باك.. تراجع بعدها طونزند نحو الكوت، وكانت القوات التركية تطاردها، وتوقف طونزند في الكوت وهو خطأ فادح فمدينة الكوت تقع داخل منعطف من منعطفات نهر دجلة تشبه حدوة الحصان حيث يحيط بها الماء من نواح ثلاثة ولهذا يسهل تطويقها وتضييق

عانى أهل الكوت والجيش الانكليزي معًا الجوع والعطش بشكل مأساوي إلى أن انتهى الأمر باستسلام الانكليز

الخناق عليها، فإذا أغلق الأتراك فتحة المنعطف بالخنادق والأسلاك الشائكة أصبحت قوات الكوت فيما يشبه المصيدة كأنها جرذ.

دام حصار الكوت من أوائل كانون الأول ١٩١٥ واستمر الى آخر نيسان ١٩١٦ أي حوالي خمسة أشهر، وقد عانى أهل الكوت وأفراد الحامية الإنكليزية معهم في تلك المدة وما بعدها أصنافا شتى من العذاب.

كان عدد سكان الكوت في بداية الحصار ستة آلاف تقريبا، وقد كان تأثير شدة المجاعة وخاصة في الأيام الأخيرة من الحصار حيث تم أكل لحم البغال والحمير، وقد وصف أحد الضباط الإنكليز في مذكراته فذكر : في يوم ١٣ نيسان انه عندما استيقظ في فجر ذلك اليوم كان اول صوت طرق سمعه من الشارع صوت شحاذ يستجدي الصدقة، ثم اخذ الأطفال بعدئذ يخرجون من بيوتهم زرافات وهم يستجدون الطعام ويصرخون بشكل يدعو إلى الشفقة.

و لم يكن الجوع فقط فقد عانى اهل الكوت من مشقة كبرى أخرى وهي في الحصول على مياه الشرب، فقد اصبح الوصول الى نهر دجلة في ايام الحصار خطرا لأن الأتراك في الجانب الآخر من النهر كانوا يطلقون الرصاص على كل من يقترب من الماء كائنا من كان، وقد قتل من جراء ذلك عدد غير قليل من نساء الكوت وسقّائيها.

وما مر على أهل الكوت مر على الجنود فقد أخذوا يأكلون لحم القنافذ بعد قليه بزيت العجلات، وحين جاء الجراد رحبوا به مبتهجين، وانتشرت بينهم الأمراض.

في ٢٩ نيسان قرر طونزند الاستسلام وبعد الظهر بقليل ارتفعت الأعلام البيضاء على خطوط الإنكليز دلالة الاستسلام، وفي اليوم التالي دخل خليل باشا والي بغداد مع حاشيته الى الكوت، فخرج طونزند لاستقباله، وقد احترمه خليل باشا كل الاحترام، ولما قدم طونزند له سيفه ومسدسه حسبما جرت العادة عليه رفض خليل باشا أخذهما وأبقاهما عنده.

كان عدد الأسرى ثلاثة عشر ألفا وكانوا في منتهى الجوع والارهاق، اما طونزند فقد أرسل إلى اسطنبول وعاش هناك عيشة الأمراء طيلة أيام الحرب.

مياه الرافدين تنتفض

تحقيق: أمير البركاوي

بلدنا حبيبنا أرضنا التي نعيش فيها، ولدنا وترعرعنا وتعلمنا فيها، فلابد من تضحيات للنهوض وأزدهار أرض هذا البلد المقدسة المليئة بالخيرات، لكن لم يرَ أهل هذا البلد خيرات بلدهم لسوء أدارة الحكومات المتعاقبة على سلطة الحكم التي أهملت الأهم والأساس لأدامة حياة المواطن، وكانت النتيجة غياب المقومات الرئيسية لحياة المواطن.

واليوم لنا وقفة لتدارك الملف الأخطر على حياة المواطنين و تلوث مياه الانهار بمياه الصرف الصحي والمخلفات المنزلية والملوثات الصناعية التي ترمى في الأنهار، ولهذا اجرينا تحقيقاً صحفياً لمعرفة تأثير تلوث مياه الانهار بمياه الصرف الصحي والمخلفات المنزلية والملوثات الصناعية على صحة المواطن والثروة الحيوانية، وما يجب أتخاذه للحد من هذه الظاهرة.

آلة قياس مستوى التلوث في الأنهار وهي تقوم بعملها في نهر دجلة

المواطن مصدر التلوث

يقول معاون رئيس كيمياويين عادل محمد محسن مدير بيئة النجف الأشرف: «الملوثات التي تطرح في مياه الأنهر هي مبزل البو حداري ومحطة معالجة الكوفة بالنسبة للنجف، أما بالنسبة للمناذرة هناك تجاوزات الأنابيب المطرية والحيرة كذلك والقادسية، وخلال هذه الفترة تم اغلاق الانبوب المطري لمضخة البو صخير ومبزل والأنبوب المطري لقصر الضيافة، ومحطات المعالجة أنذرت؛ لأن لديها أملاح تتجاوز الحدود المسموح بها، ومبزل البو حداري لعدم الحصول على الموافقة البيئية، وتم غلقة ولكن تم كسر أمر الغلق، وهو مصدر ملوث للمياه للبيئة وتغير في الصفات الفيزياوية والكيماوية والبايلوجية لانة يؤدي إلى حيود بهذه المتغيرات سواء bh do والعكارة والمـواد العالقة ويساعد ذلك مناسيب المياه المنخضة وبوجود هذه المذبات يؤدي إلى امراض خطيرة، ونحن نبحث عن النوعية في المياه والأتجاه حول محطات تحلية المياه، وفي المجمعات يتم اضافة الكلور، وفي المشخاب في قرية أم عردة تلوث ومصدر التلوث المواطن لأن

أصبح الحفاظ على البيئة آخر ما ينظر اليه المواطن العراقي مع أن خطورته لا تقل عن غيرها من المعوقات

طرح المخلفات من المنازل للنهر مباشرة وهو نهر فرعي وكمية المناسيب فيه قليلة والمفروض بالمواطن أن يسهم في ازالة التلوث.

أمراض خطرة ومياه ملوثة

نور حميد (بكلوريوس لغة انكليزية) تقول: ظاهرة سلبية ولها تأثير خطر على البيئة سواء تأثيرها السام على المياه وعلى الثروة الحيوانية إضافة إلى تأثيرها المضر وبالغ الخطورة على الناس...

مناف طالب (صيدلاني) يقول: ظاهرة يجب القضاء عليها بكل الوسائل وايضاً لأنها تهدد المجتمعات من ناحية التلوث البيئي والحضاري وهنا يجب توعية الناس والمجتمع على هذه الظاهرة من أجل التقدم والرقي في بيئة نظيفة وجمالية المدن وايضاً تجنب الأمراض والسعي إلى بناء مجتمع يرتقي على اساس النظافة والرقي.

حسين علي (موظف) يقول: إن رمي النفايات ومخلفات المنازل ومياه الصرف الصحي في الأنهار يسبب اصابة المجتمع بأفه من الأمراض أخطرها السرطان، وقد لوحظ ظهور مثل هكذا امراض في المناطق السكنية الفقيرة التي تعتمد على مياه الانهار مباشرة، وتأثير ذلك على الثروة السمكية، وسببه هذه المخلفات الملوثة التي ترمى في الأنهار.

حسن المحنه (موظف) يقول: ظاهرة مجتمعية غير حضارية و تنم عن تخلف مجتمعي كبير في ثقافة المواطن ويفترض أن تنشئ الدولة مصانع لتدوير المخلفات المنزلية ومياه الصرف ثم الاستفادة منها وبذلك نستفيد منها في جانب ونقلل من التلوث البيئي من جانب اخر، وللاسف

نرى عدم جدية الحكومة أو تقصير بمختلف مؤسساتها المعنية بشؤون البيئة في معالجات جذرية حقيقية للمشاكل المتعلقة بالبيئة والحفاظ عليها مسؤولية الجميع. ويترتب عليها أيضا حتى من الجانب الشرعي إثم في تلويث البيئة لان الضرر سيلحق بأناس اخرين من مرض أو تسمم أو موت.

ستار الجبوري (اعلامي) يقول: لا شك إنها جريمة منتهجة، القضية ليست قضية عابرة وإنما تترتب عليها آثار كبيرة جداً، بدءاً بتلويث المياه والبيئة مرورا بالقضاء على الثروة السمكية والأحياء المائية، ولاتنتهي الا بالضرر الكبير باقتصاد البلد، وكذلك التأثير الكبير على صحة الناس، ومعاناة صيادي الأسماك وهذا يدل على أمرين: أما جهل المسؤولين أو تعمدهم واشتراكهم بهذه الجريمة وكلا الأمرين إدانة لهم.

وقفة حل

على الجهات المعنية اتخاذ إجراءات فورية وعاجلة من شأنها أن تحد من هذه الظاهرة الخطيرة على صحة وسلامة المواطنين عامة والثروة الحيوانية والعمل على توعية جمهور المواطنين على عدم رمي مخلفات المنازل في الانهار وخاصة تلك المحاذية لها، أما اصحاب المعامل والمصانع فيجب إنذارها إدارياً، وبعد ذلك العقوبة وكذلك المتابعة الميدانية من قبل دوائر المجاري للأنابيب الخاصة بمياه الصرف الصحي ومراقبة ذلك، لحدوث تجاوزات متكررة فيها كونها من المصادر الرئيسية لتلوث المياه والعمل على إقامة حلقات ارشادية وجولات لفرق ميدانية من قبل الجهات المشرفة على هذا الملف، وترافقها برامج تلفزيونية على قنوات رسمية مع استضافة مختصين من أجل التوعية وأظهار الخطورة من تلوث المياه على المواطن، للحد من هذه الظاهرة من اجل مجتمع خالٍ من الأمراض والأوبئة.

مدينة الألف عام
تلبس ثوب ثقافتها

تحقيق: غزوان العيساوي

عندمـا يكون العلـم والثقافة في ارضه الخصبة التي هي مرتع لكل ثقافـة وشعر وعلم وأدب، عندما ترى هيبة منائر النور تعانق سماء الله، ويحضر في عقلك نهج البلاغة وفارسه، وعندما تشعر أن كل شـبر فيهـا ينطق ثقافة وأدبًا، فاعلم أنك في مدينة سميت من قبـل ببانيقيا، وفي فترة من الفترات بخـد العذراء، وفي مرة اخرى بالغـري، والربوة، ومدينة السلام، أنـت في النجف الاشرف.. ذلك الشعاع الذي انطلق ليحمل العلم والأدب والثقافة، ليصبح مصدر الهام للجميع، ليكون مشعلاً من نور يستضـئ به كل من يطلب العلم والمعرفة، فهاهي نجف علي بن أبي طالب عليه السلام، نجف الحوزة العلمية، نجف الشعراء والأدباء، فهي كما قال عنها الشاعر «هنا النجف هنا الأمجاد تعتكف».

مـرت سنـين طـوال دأب الظالمون علـى طمـس نورهـا، ولكنـك تجدها رغم قسـاوة ما مـرّت بـه ولّادة للعلم والأدب، يقصدهـا الناس مـن الشرق والغـرب، حيث أصبح من يطلب العلم فيها يتفاخر أنه حضر علوم وأدب وعلم النجف الأشرف.

وبعد كل هذه السنين الطويلة عادت النجـف لتبلس ثـوب الثقافـة وترسم حدود طبيعتها وتعود إلى سابق عهدها، لذلك بدأت الحركة الثقافية فيها بشكل موسـع وكبـير، ولعـل تمثـلات تلكك الحركـة تظهـر في نـواح عـدة ومنها: الشوارع الثقافيـة والأدبيّة، فلدينا اليوم في النجف الاشرف شارعين ثقافيين، قد تم افتتاحهما، لتكـون النجف الاشرف حاضرة كما كانت على سابق عهدها.

الشارع الثقافي

اسسه مجموعة من المثقفين من مدينة النجف الاشرف يقع على طريق النجف

كما أن للعراق رافدين، فأن للنجف شارعين يرفدان بالثقافة والعلم والأدب

كوفة على يمين الذهاب إلى مدينة الكوفة وقد وضع تمثـال الشاعر دعبل الخزاعي مـن تصميـم وتنفيذ الاستـاذ ناجح ابو غنيـم، وانطلقـت فعاليـات الشـارع بتاريخ ٢٠١٦/٤/٢٢ واستمر الشارع بفـترات متقطعـة، ولكنه اليـوم أصبح مرتعًـا للمثقفين والمفكرين والصحفيين والباحثين حيـث تشارك فيه مؤسسات كثيرة لنشر الثقافة وبيع الكتب وكذلك يعتبر من التجمعات الثقافية المهمة.

يقول الدكتـور صـادق المخزومي صاحـب فكـرة اقـرأ لمدة عشـر دقائق كتـاب واقتنيه كهدية: «الشارع الثقافي النجفـي مـن الاماكـن المهمـة للثقافة ونأمـل أن يكون الأفضل في مدينة خط عليهـا اسم العلم والمعرفـة والثقافة وأنا قمت بمبـادرة لإعادة القـارئ للكتاب هو أن تقرأ عشر دقائق في كتاب تختاره وتقتنيه هدية وجدنا هذه التجربة جميلة وممتعـة وتستقطب القـراء على مختلف ثقافاتهـم وأعمارهم وأصبـح نوعًا من القرابة بينهم وبين الكتاب ولو استمرت وانتشـرت في أماكن اخـرى سنعيد من خلالهـا نظـرة القـاري والشبـاب إلى الكتاب الورقي الاول ونتمنى أن يكون في المستقبل أكـبر واكثر من حجم هذه الفعالية».

ويضيف الشاعر عماد القزويني: إن الشارع الثقافي النجفي هو كرنفال راقٍ يقام في كل جمعة، ونفكر في توسعة هذا الامر وديمومته من خلال الفعاليات المختلفة التي تكون في هذا الشارع كذلك ندعو كافة المؤسسات الثقافية والمنظمات إلى الالتحاق بالشارع؛ لأن النجف هي مدرسة العلم والثقافة والفكر.

من جانبه أكد الدكتور حسن طاهر ملحم على أن الشارع يمثل قمة العطاء؛ لان النجف مركز منار للعالم الاسلامي وهذا المحور هو مهم بالنسبة لهذه التسمية وهو بمعنى أدق محفل ثقافي كبير لذلك نعمل بخطى ورؤى ثابتة لاعادة النجف الاشرف إلى تاريخها بكل ما تحويه من عمق ثقافي لكي يكون هناك زخم ثقافي ومعرفي كما كانت سابقا وندعو إلى وجود مراكز أكثر في هذا الشارع لنظهر للعالم مدارسنا.

كما وصفت الاعلامية ابتهال سميسم هذا الشارع بالشئ الجميل بوجود مختلف الشرائح وقالت «هو ملتقى للثقافات وكذلك نقل الثقافة القديمة ودمجها مع الثقافة الحديثة لذلك نرى اليوم حتى الاطفال يقبلون على هذا الشارع لنبين إلى الابناء اهمية تاريخ النجف الاشرف».

إن طبيعة الحياة أو البيئة النجفية كونها هي مركز الحوزة العلمية لابد أن يكون الأدب فيها مرتبطا بالإمور الدينية أو العقائدية، وهذا أمر طبيعي ومن الصعب أن نحدد سمات خاصة للأدب في مدينة واحدة وخاصة في عصر الإتصالات، فخصائص الأدب النجفي هي أساس خصائص الأدب العراقي بكل مدنه.

يقول الاستاذ حيدر الياسري مسؤول مركز ابن ادريس الحلي: «إن هذا الشارع سيصبح واجهة النجف الثقافية وهو يجمع بين الثقافة والفن والتنمية وهي انعكاس لصورة النجف الحقيقية لأن النجف مدينة العلم والعلماء وكما معروف أن النجف مدينة تلمذ على يدها اصحاب العقول والفكر والشعر والأدب والثقافة وسنقوم باعطاء ورشات عمل تثقيفية في هذا الشارع».

يشير الناشط بسيم المؤمن «اننا اليوم أمام مبادرات ربما تكون في

بعضها فردية او شخصية لكنها مبادرة رائعة فقد احتوى هذا الشارع على عرض السيارات القديمة ومشاركة من قبل مديرية الدفاع المدني في النجف وكذلك قيادة الشرطة ونأمل ان تكون هناك مؤسسات ثقافية تنزل بثقلها من أجل نشر الثقافة وأيضًا نحتاج إلى وجود وتمثيل لجامعة الكوفة وبقية الجامعات».

وكذلك يؤكد منسق التعايش السلمي الاستاذ جبار على أن وجود شرائح مختلفة من المجتمع النجفي شيء جميل وجود هذا الخليط المنسجم من المثقف والصحفي وشعراء ومسؤولين ونطالب بحضور منظمات المجتمع المدني لطرح الثقافة والتعليم».

هكذا هو الشارع الثقافي حيث يتزاحم المثقفون من أجل اعادة التاريخ الثقافي إلى النجف الاشرف واصوات ترتفع بالدعوة إلى بقية المؤسسات والمنظمات من أجل الحضور فان للنجف ثورة للثقافة يجب أن تظهر للناس.

شارع الخورنق الثقافي التراثي

تأسس هذا الشارع وانطلقت فعاليته بتاريخ ٢٠١٩/١/١٩ برعاية من قبل العتبة العلوية المقدسة ويقع في الميدنة القديمة في النجف الاشرف في شارع الخورنق حيث يقول الدكتور حسن عيسى الحكيم «نتمنى ان يكون المستقبل اكبر واوسع وهذا الجزء وهو شارع الخورنق الثقافي التراثي جزء مهم من اهتمام النجف بالجانب الثقافي والعلمي و قد يخرج الأديب عن النطاق الديني إلى المجالات الأخرى. والمجالات الأخرى التي يمكن أن يسلكها الأديب، وهي نابعة لا شك من شعوره، نابعة من أحاسيسه، ونابعة من وجدانه في هذا الجانب من هذا وجدنا الكثير من الفقهاء هم أدباء، وكثير من الأدباء ينحون مناح عديدة في مجالات الأدب فيمكن أن نقول الأدب النجفي قد يتخطى الجانب الديني إلى المجالات الأخرى».

ويضيف دكتور حمزة الخالدي مدير متحف خان الشيلان: «اقامة هذا الشارع الثقافي بالتعاون مع العتبة العلوية المقدسة مركز التراث في العتبة هو إحياء لتراث مدينة النجف الاشرف كذلك إقامة فعاليات ثقافية يعد أمراً مهمًا: لأن النجف هي منبع العلم والأدب والثقافة وشارع الخورنق الثقافي التراثي سيكون من الشوارع المهمة».

يشير مدير مركز الوثائق في العتبة العلوية هاشم الباججي: «إن الشارع سيكون بصمة توضع لتاريخ النجف الاشرف تلك المدينة التي حملت وأنجبت العلم والثقافة وأننا اليوم نشهد وجود هذا الشارع بالرغم من وجود مكتبات خاصة وعامة في النجف، وكذلك سوق لبيع الكتب ألا وهو سوق الحويش كذلك هذا الشارع سيكون من الامور المهمة في النجف الاشرف».

كما يؤكد مدير قسم الاعلام في العتبة العلوية المقدسة فائق الشمري على أن «هذا الشارع يستمد من ذاكرة المدينة المقدسة القه ويعيد للاجيال الحاضرة ماضي علم وثقافة لأن النجف جامعة كبيرة تحتوي على الثقافة والعلم وهو تاريخ لاكثر من الف عام فهي مدينة للتفكير والعلم وهي التي كانت تزود المكاتب العربية بمصنفات الكتب».

كذلك يقول الشاعر ضرغام البرقعاوي: «امتازت مدينة النجف الاشرف بحجمها الثقافي ومكتباتها الزاخرة بالأدب والثقافة والعلم وكذلك بمجالسها الأدبية التي ساهمت باغناء الحركة الفكرية والأدبية فيها، وأن هنالك مؤسسات ثقافية وليدة أخذت تحتضن الابداع والمبدعين، تحتضن الأقلام الجديدة، هنالك تأسيسات ثقافية جديدة، هنالك شخصيات هنالك أرقام تحسب لها حساب في الساحة الثقافية النجفية، الحقيقة نتفائل بشكل مميز لغد الثقافة النجفية ولكل الأدب النجفي والإبداع النجفي.

هي النجفُ، هي الثقافات إن تعددت، هي العلم والأدب، هكذا برزت من قبل وستكون حاضرة الثقافة كما كانت تاريخ للثقافة والعلم والادب.

نظرية النظم عرض وتحليل ونقد

بقلم: موفق الهاشم

منذ أن تُلي النص القرآني على العرب الجاهليين انبهر به جهابذة العربية في الشعر والنثر والخطابة! وأُعجبوا بألفاظه وتراكيبه وأسلوبه الذي لم يُسمع بمثله قط، حتى صدر ذلك الإعجاب والانبهار من أعتى عدو للدين الجديد! إلا وهو الوليد بن عقبة أحد بلغاء العرب المعروفين، الذي صرّح لوجوه المشركين بصدمته مما سمعه من ترتيل قرآني! مبينا أنه لم يُعهَد له أن سمع بمثله! وأن ما سمعه لا يمكن أن يكون من كلام البشر!

وهذه شهادة في حق كتاب الله ونبيه من خبير متضلّع في اللغة العربية وبلاغتها، مع كونه عدوا للنبي والقرآن الذي أتى به، فخير الفضل ما شهد به الأعداء، إلا أن الوليد بعد أن لامه وجوه المشركين على ما صرح به، ومدى خطورة ذلك في صالح الخطاب القرآني وما يترتب عليه من ترجيح لكفة الدين الجديد، عاد إلى غيّه وشيطنته وعناده، فاتهم النبي(ص) بالسحر! وهي تهمة تستبطن كذلك اعترافا بقوة لغة القرآن وجاذبيتها التي سحرت الجميع وأسرتهم، بل حتى الجن أبهرتهم كلمات القرآن الكريم وسحرت ألبابهم ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ الجن/١. واستمر ذلك الانبهار يسير مع القرون والأزمان إلى يومنا هذا، كل ذلك راجع إلى نظم النص القرآني المعجز، بأصواته وصرف ألفاظه وتراكيبه السامية.

ويُعد أبو عمرو الجاحظ (ت٢٥٥هـ) أول من استعمل لفظة (النظم)، مطلقا على أحد كتبه اسم (نظم القرآن)، مفرقا به بين نظم نص القرآن ونظم سائر النصوص الكلامية الأخرى، ويحدثنا

الجاحظ في كتاب آخر له وهو (البيان والتبيين) عن اختلاف النظم القرآني عن جميع نظم الكلام الآخر، الموزون والمقفى وغيره، ذاهبا إلى أن نظم القرآن برهان عظيم وحجة كبرى[1]. أتى بعده العلامة الرماني (ت٣٨٤هـ) وتحدث عن الإعجاز القرآني ووجوهه في كتابه (النكت في إعجاز القرآن)، وذهب إلى أن البلاغة ثلاث طبقات، الطبقة الأعلى هي المعجز، وهي طبقة الإعجاز البلاغي التي تفرد بها القرآن وحده، وطبقة وسط وأخرى أدنى، وهما طبقتا البلغاء والفصحاء من الناس، وعدّ الرماني (البلاغة) أحد وجوه الإعجاز القرآني، لذلك هو لم يُشغل نفسه بعلاقة النظم بالنحو، أو ربما هو غفل عن ذلك، وحدد الرماني ما يرتبط بالنظم وتفصيلاته، ممثلا له ومفيضا عليه، وربما كان يُعنى بالجانب النطقي أكثر من اهتمامه بالجانب التطبيقي[2]. كما قسّم الرماني البلاغة إلى عشرة أقسام، وهي: «الإيجاز والتشبيه والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس، التصريف، التضمين، المبالغة وحسن البيان»[3].

وتناول الخطابي (ت٣٨٨هـ) مسألة النظم القرآني، وهو كمعاصره الرماني لمح إلى علاقة النظم بمسألة الإعجاز البياني للقرآن الكريم[4]، يقول في ذلك: «وإذا تأملت القرآن [...] لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظما أحسن تأليفا وأشد تلاؤما وتشاكلا من نظمه [...] وإنما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ،

١ـ البيان والتبيين، أبو عمر عثمان الجاحظ: ج١/ ٣٩٣.
٢ـ ينظر: إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، سلطان منير: ٧٥.
٣ـ نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم، أحمد سيد محمد مختار: ١٣٢.
٤ـ النظرية النحوية عند الجرجاني وتطبيقاتها في المقررات التعليمية (رسالة ماجستير)، أم الخير الصديق: ١٦.

قد يكون الجرجاني قد سبق عالم الرياضيات واللسانيات نئوم تشومسكي في مجال التوليدية والتحويلية اللسانية

في أحسن نظوم التأليف، مضمنا أصح المعاني»[5]، وهو بفهمه هذا يقترب من فهم الجرجاني (ت٤٧١هـ) للنظم؛ لأنه يرى النظم «صورة للفظ المتفاعل مع المعنى للتعبير عن التجربة الفنية»[6]، بيد أنه يعير اللفظ بعض الأهمية التي أعارها السابقون في دراساتهم، وهذا ما حدا ببعض الدارسين أن يرى فرقا شاسعا بين الخطابي والجرجاني في نظرتهما لمفهوم النظم، فالأول يرى أن عمود البلاغة هو وضع كل نوع من الألفاظ موضعه، أي إعمال النظر في الألفاظ المتشابهة وإدراك الفروق الدقيقة بينها، وهذا خلاف مقصود النظم الذي يريده الجرجاني، فالنظم عنده توخي معاني النحو بين الكلم[7].

وممن درس نظم النص القرآني أيضا العلامة الباقلاني (ت٤٠٣هـ)، الذي جعل النظم واحدًا من ثلاثة وجوه لإعجاز القرآن المجيد، متحدثا عن بديع نظمه وتأليفه، وبلاغته التي لا تجارى من فحول العرب في العربية والبلاغة، ويوجه الباقلاني عنايته واهتمامه إلى النظم ليؤكد أن القرآن معجز بنظمه وتأليفه العجيب[8]، ويحصر إعجاز النظم القرآني بأنواع عدة: إعجاز يعود إلى القرآن بجملته، وآخر يعود إلى أساليبه، وثالث متعلق بمفرداته، ورابع يرجع إلى نظم حروفه[9].

يطل علينا لاحقا عبد الجبار المعتزلي (ت٤١٥هـ)، الذي كان أكثر وضوحا من سابقيه في مسألة النظم القرآني، وأكثر قربا من عبد القاهر الجرجاني في رؤيته للنظم، إذ كان يرى أن الفصاحة لا تتعلق بمفردات الكلام، وإنما في ضم المفردات بعضها إلى بعض، ومراعاة الإعراب والتقديم والتأخير[10].

يبدو من خلال ما سبق أن جلّ الدارسين لمسألة النظم كانت منطلقاتهم وليدة الاهتمام بالمعجز القرآني، وأكثر من أبدع في ذلك هو الشيخ عبد القاهر الجرجاني، إمام الشافعية ومتكلم الأشعرية في جرجان، العالم النحرير في اللغة العربية وآدابها، الذي استنفر قواه للدفاع عن القرآن المجيد وبيان إعجازه، بعد أن انتشر أهل الزندقة والإلحاد في العصر العباسي، الذين أثاروا الشبهات ضد النصوص القرآنية، فجدّ الجرجاني في الدفاع عن الإسلام ودستوره بما يفرضه عليه واجبه الشرعي، مصنفا كتاب (دلائل الإعجاز) مبينا فيه إعجاز القرآن الكريم عن طريق النظم[11]. وقد أنكر الجرجاني

٥ـ نظرية الإعجاز القرآني: ١٣٠ ـ ١٣١.
٦ـ المصدر نفسه: ١٣٦.
٧ـ المصدر نفسه: ١٣٧.
٨ـ ينظر: النظرية النحوية عند عبد القاهر الجرجاني: ١٨.
٩ـ ينظر: المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني، أحمد جمال العمري: ٣٤٠.
١٠ـ ينظر: أثر النحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين: ٣٧٧ ـ ٣٧٨.
١١ـ ينظر: نظرية الإعجاز القرآني: ٥٨.

على أولئك الذين كانوا يتجاذبون الجدال بين تقديم اللفظ أو تقديم المعنى في نظم النصوص، ورأى أن الفصل بينهما لا يخدم قضية الإعجاز القرآني، التي كانت بالنسبة للجرجاني شغله الشاغل، وكان ممن قبله يفصل بين اللفظ والمعنى، فالنقاد العرب والبلاغيون كانوا آنذاك يجعلون للألفاظ صفات وللمعاني صفات أيضا، وكان بعضهم ينصح الشعراء بمراعاة اللفظ وتقديمه على المعنى، بينما البعض الآخر منهم كان يدعو إلى مراعاة المعنى أولا، إلى أن جاء الجرجاني فعاب عليهم ذلك المسلك، ولم يقتنع بمذهب من «وقفوا عند حدود المعنى في عمومه، ليحكموا به على جمال الموضوع أو قبحه، مغفلين شأن الصياغة»[١٢]، وربما أمست أشعرية الجرجاني توحي للبعض أن الجرجاني منحاز للمعنى، يقول أحدهم في ذلك: «تناول عبد القاهر الجرجاني هذه المشكلة أي اللفظ والمعنى من زاوية أخرى ألا وهي: لمن السيادة للشكل أم المعنى؟ ولقد جعلها للمعنى فهو المتصرف في نظم الألفاظ وطريقة تواليها بعضها مع بعض»[١٣]، لكنه رغم ذاك لم يكن كذلك، نعم كان منجذبا للمعنى بمعناه الشعري لا بمعناه المنطقي العقلي، إضافة إلى اهتمامه بالصياغة، والألفاظ عنده خدم للمعنى وقوالب له، وهي تتبعها في الحسن والجمال والقبح والرداءة[١٤]. ويقول في هذا السياق: «غلط من قدم الشعر بمعناه، وأقل الاحتفاظ باللفظ وجعل لا يعطيه من المزية ان هو أعطى إلا ما فضل عن المعنى يقول: «ما في اللفظ لولا المعنى؟ وهل الكلام إلا بمعناه؟»، فأنت تراه لا يقدم شعرا حتى يكون قد أودع حكما أو أدبا، واشتمل على تشبيه غريب ومعنى نادر»[١٥]، ويعلل الجرجاني لذلك بالقول: «إن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وإن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه، كالفضة والذهب يصاغ منها خاتم وسوار، فكما تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة، أو الذهب الذي وقع فيه ذلك العمل وتلك الصنعة، كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام، أن تنظر في مجرد معناه»[١٦]، وهذا الكلام يُستشف منه ميل الجرجاني نحو اللفظ! وهكذا فإن هنالك من كان يرى الرجل من أنصار المعنى، وآخرون يرونه من أنصار اللفظ!

وكان مدلول النظم عند الأشاعرة مختلفا عن مدلول النظم المتبنى من قبل المعتزلة، ويبدو أن الخلاف المذهبي في العقيدة قد اجتُر إلى هذا المفصل المهم من القرآن الكريم، فالمعتزلة ينطلقون في مسألة النظم من الدال إلى المدلول، أي من الملفوظ أو المكتوب إلى المحكي عنه خارجا، وهذا تقديم للفظ على المعنى، في حين نجد أن الأشاعرة ينطلقون من المدلول إلى الدال، أي من المعنى أو المحكي عنه في الخارج إلى اللفظ أو المكتوب، أي أنهم يقدمون المعنى على اللفظ[١٧]. والطرفان ـ أي المعتزلة والأشاعرة ـ تناولا قضية النظم من أجل القرآن الكريم وإثبات إعجازه، فالجاحظ وهو معتزلي رأى أن المعنى كبقية المعتزلة هو المعنى العقلي المنطقي، ولم يقتنع بأن هذا المعنى يصنع شعرا، وبالتالي رجح

١٢ـ النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال: ٢٦٧.

١٣ـ الأنماط الشكلية، جلال شمس الدين: ٣٨.

١٤ـ ينظر: دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ٩٥ ـ ٩٧.

١٥ـ المصدر نفسه: ٢٥٢.

١٦ـ المصدر نفسه: ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

١٧ـ دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسين بحيري: ٢٢٣.

اللفظ في ذلك، واللفظ لا يعني فقط أصواتا فقط، وإنما هو المعنى الشعري الذي يقابل المعنى العقلي[١٨]. فالجاحظ يذهب إلى أن «المعاني القائمة في صدور العباد، المتصورة في أذهانهم، والمختلجة في نفوسهم، والمتصلة بخواطرهم، والحادثة في فكرهم، مستورة خفية، وبعيدة وحشية، ومحجوبة مكنونة، وموجودة في معنى معدومة [...] وإنما تحيا تلك المعاني في ذكرهم لها، وإخبارهم عنها واستعمالهم إياها»[١٩]، فالمعاني في الأذهان لابد لها من ذكر وكلام حتى يُستدل عليها. وهو بهذا يقترب بعض الشيء من الجرجاني في عدم تهميش اللفظ[٢٠].

ويرى الجرجاني أن النظم يتعلق بموقع اللفظة في التركيب، ولا جمال لصوت المفردة من حيث سمعها، وتوالي حروفها وتناسقها فيما بينها، بل لما بين معاني الألفاظ من اتساق عجيب، ويأتي لنا بمثل فيقول: «وهل تشك إذا فكرت في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ هود/٤٤، فتجلى لك منها الإعجاز، وبهرك الذي ترى وتسمع، إنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة، والفضيلة القاهرة إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض، وإن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة وهكذا [...] وإن شككت فتأمل: هل ترى لفظة منها بحيث لو أُخذت من بين أخواتها وأُفردت، لأدت من الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها من الآية»[٢١]، ويوضح

كان مدلول النظم عند الاشاعرة منطلقاً من المكتوب إلى المحكي بينما ذهب المعتزلة إلى أنه يتجه من المحكي إلى المكتوب

الجرجاني بأن الذي يبهر في هذه الآية هو التلاؤم المعنوي للفظ المفرد مع معنى المفردة التي تليها، مبينا أن لا قيمة للألفاظ بمعزل عن المعاني، ففي الآية المباركة التي سلف ذكرها يرى الجرجاني «أن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض ثم أُمرت، ثم في أن كان النداء بـ «يا» دو «أي» نحو «يا أيتها الأرض»، ثم إضافة «الماء» إلى «الكاف»، دون أن يقال: «ابلعي الماء»، ثم ان اتبع نداء الأرض وأمرها بما هو من شأنها، نداء السماء، وأمرها بما يخصها، ثم إن قيل: «وغيض الماء» فجاء الفعل على صيغة «فعل»...»[٢٢]. ومبدأ العظمة الذي تبناه العلامة الجرجاني هنا يعتمد على معاني النحو أو النظم النحوي فحسب، في حين فاته أن فضل الألفاظ التي انتُقت واختيرت بدقة وعناية معجزة هي الأخرى أيضا في هذه الآية المباركة، وهذا الاختيار يسبق النظم والتأليف بهذا النسق السامي، ولا شك من وجود ألفاظ أخرى كان لها أن تؤدي المعنى المراد، لكن الاختسيار وقع منه تعالى على لفظ دون آخر، فاختار «لفظ البلع دون الشرب، وكلمة أقلعي دون امنعي، وفعل قُضي المبني للمجهول دون نفذ المبني للمجهول أيضا، واستوت على الجودي دون استقرت، كل ذلك مما يرتفع بالآية إلى الإعجاز، وهو في صميمه راجع إلى ما يرجع إليه إلى اللفظ دون الإسناد»[٢٣].

وهنا ربما يثور إشكال من البعض حول نظرية النظم المعجز، فحواها أن الإنسان العربي هو من وضع اللغة وصنعها، فهو من اختار الألفاظ للمعاني، وهو من ابتكر الإسناد وتوافق عليه مع أقرانه الآخرين، وهو أيضا من اعتبر الآليات التي توصل إلى المعاني والمقاصد، وبالتالي فإن أي نص أو كلام عربي يستطيع ابن اللغة العربية العارف بوضعها أن يلج أي مستوى من مستويات الرقي فيها، لأن المفردات المعجمية والترتيب النحوي من وضعه وصناعته! فكيف لا يستطيع العربي الحاذق الخبير بلغته أن يأتي بمثل النص القرآني الذي نزل وفق لغته العربية؟! وهذا الإشكال على ما أظن هو من دفع بعض الباحثين في علوم القرآن إلى القول بـ (نظرية الصرفة) في الإعجاز القرآني، وتقرر هذه النظرية بأن الله تعالى يصرف البشر عن أن يأتوا بمثل القرآن، لا بسبب بلاغته وسمو تعابيره التي هي فوق مستوى قدرة الإنسان وطاقته، وإنما لأنه سبحانه يصرف الناس عن معارضة كتابه ونصوصه بإرادته تعالى الحاكم فوق عباده، المتصرف بهم والمتحكم بأفعالهم؛ حفظا للنبوة ووقاية لحمى الرسالة[٢٤]، أي أن العارف بالعربية لو تُرك وطبعه ـ بحسب ذلك ـ لاستطاع

١٨ـ ينظر: نظرية المعنى في النقد العربي، د. مصطفى ناصف: ٣٨.
١٩ـ البيان والتبيين: ١/ ٧٧.
٢٠ـ الحيوان، الجاحظ: ١/ ١٣١.
٢١ـ دلائل الإعجاز: ٤٥.
٢٢ـ المصدر نفسه: ٤٦.
٢٣ـ خطوات التفسير البياني، محمد رجب البيومي: ٢٢٤.
٢٤ـ ينظر: الميزان في تفسير القرآن، العلامة الطباطبائي: ١/ ٧١.

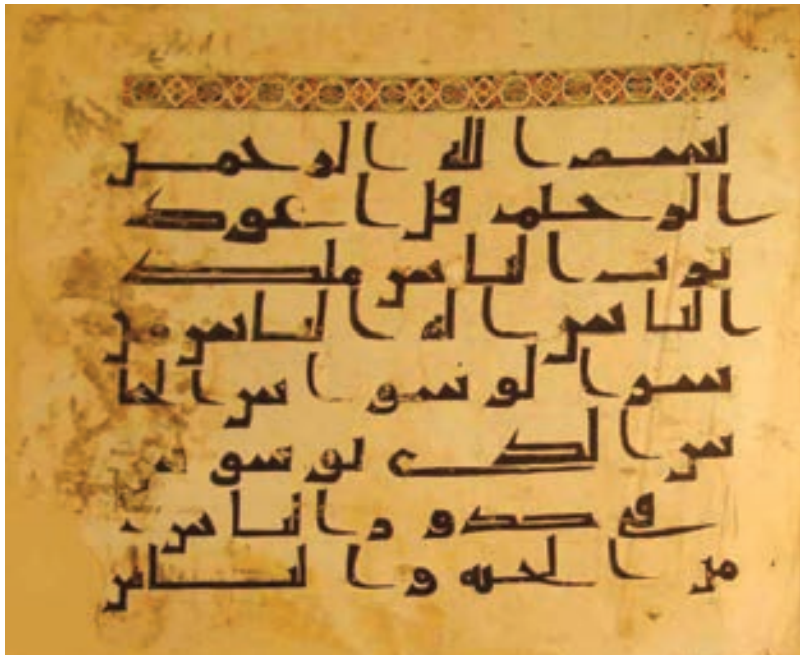

أن يأتي بمثل القرآن! لكن الله جل ذكره يصرفه عن فعل ذلك، فإمكانية المعارضة عند الإنسان موجوده، ولكان لها أن تكون على أرض الواقع لولا الصرف والمنع الإلهي!

وبناء على نظرية الصرفة يكون كلام القرآن كأي كلام بشري، لا مزية له على غيره من حيث الإعجاز والسمو والرفعة، نعم هو معجز بسبب عدم قدرة البشر على القيام بمعارضته عن طريق الصرف الرباني لا عن طريق العجز البلاغي والأسلوبي، وهذا مذهب فاسد يتهادى أمام آيات التحدي التي بينت العلة في عجز البشر عن ذلك، قال تعالى: ﴿فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله﴾ هود/ ١٤. فالقرآن نزل بعلم الله لا كلاما تقوّل به النبي صلى الله عليه وآله، ولكونه كلام صادر منه تعالى العالم بدقائق الأمور والقضايا والمغيبات، والبشر مهما ارتفعوا بدرجاتهم فهم لا يحيطون تلك المعاني بتمامها، وهم غير قادرين تكوينا لا صرفا، أي أن الإعجاز مرتبط بالمعاني التي لا تُدرك بحقيقتها على ما هي عليه، فكيف الإتيان إذا بألفاظ تلائم تلك المعاني وتستوعبها وتعبر عنها مع عدم القدرة على معرفة تلك المعاني؟! فالإنسان قاصر عن ادراك الكمالات وطرق وصولها، هذا إن لم نقل إن القول بقدرة الإنسان على الإتيان بمثل القرآن لولا الصرفة يؤدي إلى نتيجة باطلة، وهي أن الناس سينظرون إلى القرآن بمستواه اللغوي كمستوى كلام البشر، وبالتالي سيشكل المعاند ويقول: كيف تثبتون أن هذا الكلام ليس من كلام البشر؟!

وربما يشكل البعض ويقول: بقولكم (إن القرآن عبّر بأسمى الألفاظ عن أتم المعاني» ألا يعني أن القرآن بتعبيراته المختلفة عن المعنى الواحد يستلزم أن بينها تركيبا معجزا واحدا؟) فقد يرد المعنى بتعبيرات عديدة وتراكيب مختلفة، واحد منها يبلغ الإعجاز والتمام، أما الأخر فهي دونه وأقل منه، كما في قصص بعض الأمم وبعض الأنبياء، فهل كل تلك التعبيرات المختلفة للمعنى الواحد تتصف بالإعجاز رغم تفاوتها الذي يستلزم كمالا ونقصانا؟ والجواب على ذلك أن المعنى الواحد يمكن التعبير عنه ببيانات مختلفة، لكنها في الوقت نفسه تكون جميعا إعجازية، ومعاني القرآن أفضل وأعمق المعاني، وهي تطابق الواقع الخارجي عين التطابق وتمامه، والقرآن هو الكتاب التدويني الذي ترجم لنا ما هو موجود في الكتاب التكويني (العالم الخارجي) على ما هو عليه، وبما إن الواقع الخارجي متفاوت في الرتب، فبعضه مشهود بإدراكنا له وبعضه الآخر محجوب عن الإدراك، فكذلك القرآن مصوّر العالم الخارجي، سيكون تدوينه ذا مراتب متفاوتة أيضا، منها ما هو ظاهر ومنها ما هو باطن، ولا تزاحم بين الظاهر والباطن، فالكل يقع تحت إرادة إلهية واحدة طولية تشمل الجميع، والقصور يكون من المستقبِل لا من المنظِم والمؤلِف.

وقد ربط الجرجاني ـ كما أشرنا سلفا ـ مفهوم نظرية النظم بالنحو العربي، أي اتباع القواعد التي بُني عليها علم النحو، وما يتضمنه من قوانين في التقديم والتأخير والفصل والوصل والحذف وما إلى ذلك من قواعد وأسس ينبغي على المؤلف أو الكاتب أن يتبعها؛ ليكون تأليفه محكما، والجرجاني بهذا يكون قد قارب مفهوم (السبك) عند (دي بوجراند)، والسبك «يتحقق بواسطة الرابط الرصفي القائم على النحو في بنيته السطحية، حيث المساحة للجمل والتراكيب والتكرار والإحالات والحذف والروابط..»[٢٥].

والنظم عند الجرجاني «تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض [...] والكلم ثلاث: اسم، وفعل، وحرف، والتعليق فيما بينهما طرق معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما»[٢٦]، ويستطرد في

٢٥ـ لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، أحمد مداس: ٨٣.
٢٦ـ دلائل الإعجاز: ٤.

شرح كيفية التعليق بين أقسام الكلم بأسلوب نحوي مطابق لما هو معتمد لدى النحويين. وطرق تعلق الكلم بعضها ببعض تتمثل بمعاني النحو وقوانينه وأحكامه وأغراضه، يقول الجرجاني أيضا: «لا معنى للنظم غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم»[٢٧]، ولابد للكلام عنده من مسند ومسند إليه، وبذلك يكون الجرجاني قد تعدى و«تجاوز مفهوم اللفظ (الوعاء) وأحل مكانه التركيب (المعنى)، مؤكدا على وحدة عضوية بين معنى العبارة وبنيتها النحوية»[٢٨]، وهذا يعني أنه لم يتعدَ العبارة أو الجملة في تناوله لنظم القرآن، فترك دراسة السورة بتمامها فضلا عن القرآن ككل. واستند الجرجاني في تفسيره لإعجاز النظم عن طريق نسبه «القرآن إلى الكلام النفسي، ليتسنى له إثبات قدمه، والفرار من الاعتراض بخلق الورق والغلاف الذي كتب به المصحف، ثم قادته فكرة الكلام النفسي ذاتها إلى فكرة النظم، وهو نظم المعاني في النفس»[٢٩]، أي نظم المعاني النحوية في نفس المتكلم لا بناء الكلمات وضم الألفاظ لتكوّن عبارة أو جملة؛ لأن «الكلم تترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس»[٣٠].

ومن الباحثين من وجد أن دراسة الجرجاني للنظم القرآني تقوم على أربع أسس متتالية: (النظم، البناء، الترتيب، والتعليق)، والنظم كما ذكرنا نظم المعاني في الذهن، التي تقوم هي الأخرى كما بينا على تصور معاني النحو والعلاقات بينها، الأساس الثاني هو البناء، وهذا يخص المباني بحسب معاني النحو، ويتكفل الصرف باختيار المباني للتعبير عن المعاني النحوية، وبضم النظم إلى البناء نكون أمام قضية الارتباط بين المعنى والمبنى، أما الأساس الثالث فهو الترتيب، ويعني به الجرجاني ترتيب المعاني، أي وضع العلامات الملفوظة صوتا أو المكتوبة في السياق الاستعمالي حسب رتبة خاصة، ويُعد التعليق الأساس الرابع والأهم من بينها، عندما جعل الكلام لا يستقيم إلا به بقوله ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، ويضيف هذا الباحث أن التعليق لدى الجرجاني يعني انشاء علاقات بين المعاني النحوية عن طريق القرائن اللفظية والمعنوية والحالية التي تجعل من العبارة متماسكة نتيجة لتعلق معاني المفردات فيما بينها[٣١].

ويبدو أن الجرجاني بذلك المنجز قد سبق العالم الأمريكي المعاصر نوم تشومسكي، عالم الرياضيات وزعيم اللسانيات الحديثة، إذ تتطابق منجزات هذا الرجل في التوليدية والتحويلية اللسانيتين مع ما قدمه الجرجاني في نظرية النظم قبل ألف عام!! والفارق بينهما الموضوع وبعض التفاصيل الجزئية والثانوية، فموضوع الجرجاني لغة القرآن المعجزة بنظمها، أما تشومسكي فكان ناظراً إلى نظم اللغة بشكلها العام، بغض النظر عن كونها عربية أم انكليزية أم فرنسية ..الخ، فالنظم النحوي للمعنى في الذهن يناظر فكرة التوليد اللساني ومفهوم البنية العميقة، أما البناء والترتيب والتعليق فإنها تكافئ الفكرة التحويلية للغة ومفهوم البنية السطحية، وهذا سبق هام يُحسب للجرجاني خاصة، وللعربية والمسلمين بشكل عام. بيد أن ذلك لا يمنعنا من نقد النظرية الجرجانية؛ لأنها أقصت الصوت وما يترتب عليه من إيقاع ووزن من دراستها للقرآن، فالصوت له علاقة كبيرة في انتاج المعاني والتأثير في السامعين والمتلقين، وهذا واضح في الآيات التي تفتن القلوب وتأسر الألباب[٣٢]، إضافة إلى عدم تجاوز الجرجاني بنظريته إلى ما بعد العبارة والجملة، فهو لم يتناول سورة من السور بمجال تطبيقاته وتحليلاته، بل اكتفى ببعض الآيات والجمل، وهذا بالتأكيد لا يعطي صورة تامة عن النظم الواقعي في القرآن، فلابد إذا من دراسة نظم القرآن بمستوياته الصوتية والصرفية (المفرداتية) والنحوية (التركيبية)، والنظر في بنائها للكشف عما تحتويه من أسرار تبين مدى إعجاز كلام الله سبحانه.

ومن المناسب لدراسة النظم القرآني أن يُتّبع منهج التحليل اللغوي، إذ يدرس هذا المنج اللغة لذاتها أولا وأخيرا، وربما يختلط الأمر على بعض الدارسين في أن هذا المنهج يسلكه الأسلوبيون والبنيويون، إذ إن هنالك التباسا يجعله لا يميز بين هذين المنهجين من جهة ومنهج التحليل اللغوي من جهة أخرى، فالأسلوبية طريقة لتحليل شكل النص مستفيدة ومعتمدة على نتائج علم اللغة ومعطياته، والبنيوية هي الأخرى تعتمد على معطيات علم اللغة في تحليل شكل النص ومضمونه، أما التحليل اللغوي فإنه يقارن بين لغة النص وقوانين اللغة، وهو ما يعني مقارنة بين طريقة الأديب في التعبير وطريقة أبناء اللغة عموما، فيتبين عن طريق ذلك درجة التمايز لدى صاحب النص، إضافة لتعامل هذا المنهج مع اللغة على أنها ذات وجهين مختلفين بيد أنهما في الوقت نفسه متكاملان، وهذان الوجهان أحدهما تجريدي في الذهن، والآخر مادي ملفوظ بالصوت أو الكتابة[٣٣].

٢٧- المصدر نفسه: ٣٧٠.
٢٨- شكل القصيدة العربية في النقد العربي حتى القرن الثامن الهجري، د. جودت فخر الدين: ٩٣.
٢٩- الأصول (دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب)، تمام حسان: ٣٠٨.
٣٠- دلائل الإعجاز: ٥٦.
٣١- ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان: ١٨٦ - ١٨٨.
٣٢- ينظر: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، د. محمد زكي العشماوي: ٣٢٩ و٣٣٩.
٣٣- ينظر: منهج التحليل اللغوي في النقد الأدبي (بحث في مجلة آداب المستنصرية - ع١٨ - لسنة ١٩٨٨)، د. سمير شريف استيتية: ٢٣٩ - ٢٤٠.

الشياچ
من طرق الصيد المنقرضة

بقلم: عبد علي الساعدي

لطالما دأبت الشعوب على ابتكار طرق لصيد الاسماك تلائم بيئتها وطباعها، فتنوعت الطرق الصيد وكثرت، ومنها ما انتشر في ربوع المعمورة كصيد السمك بالصنارة، ومنها ما بقي حكرا على فئة قليلة لصعوبة تعلمه أو لقلة جدواه، وقد انقرضت طرق صيد كثيرة بسبب تطور آلة الصيد أو بزوال الشعوب التي تتعاطاه، ومن الطرق المنقرضة طريقة كانت متعارفة في ناحية المشرح التابعة لمحافظة العمارة في جنوب العراق، وعلى حد تتبعي لم تستخدم حتى في باقي أهوار العمارة.

طريقة الصيد بالفالة ماتزال مستخدمة على نطاق ضيق في جنوب العراق

رغم فائدتها وكثرة صيدها وسهولته، لكن طبيعة أهوار المشرح تنسجم مع هذه الطريقة، وسبب انقراضها هو جفاف الأهوار لا غير، حيث إن أهالي المشرح ازالوا يتذكرونها ويحنون لها لا سيما وأنه موجودة عمليا في نهاية التسعينيات من القرن الفائت، وسنستخدم في هذا الموضوع الاصطلاحات والأسماء التي تطلق بلهجتهم بين قوسين مع تفسيرها في درج المقالة التي سنبين فيها تفاصيلها وطريقة استخدامها، وقبل الخوض في شرح وصفها دعونا نبين طبيعة أهوار المشرح: حيث إن فيها نوعين من الأهوار: احدها: الموسمي، وهو الذي يجف في الصيف، وهو (هور السناف) فقط، ويتكون من مياه نهري (الطيب والدوريج) حيث ينبعان من جبال أيران ويطغي مائهما على شكل سيول عند موسم الأمطار، ويصبان في شرق العمارة، فينشآن هور السناف الذي يمتد حتى منطقة (دار عنبر) أو قريب منها فيلتقي مع (ذيل الشط) وهو نهاية شط المشرح، ويصب بـ(الشيب) و(هور العظيم). وثانيها الدائمي: ويتكون من مياه الأنهار الكثيرة التي تأخذ من شطي المشرح والكحلاء، ومن الأنهار الإيرانية الصغيرة نسبيا، وتلك الأهوار هي (هور العروكة) (بالكاف الفارسية) وتوابعه، و(هور العظيم) وتوابعه وهو من ضمن (هور الحويزة).

صورة لصياد يصطاد السمك بطريقة (الشياج) المنقرضة
(خاص لمجلة النجف الأشرف)

الشيچ

طريقة الصيد التي نتكلم عنها تسمى (الشيچ) بالجيم الفارسية وتجمع (شياچ)، وحيث يتم قطع الهور من ضفة إلى الضفة الأخرى بسد ترابي أيام الصيف إن كان موسميا، وبشباك أو حصران القصب (البواري) إن كان دائميا، والشباك تسمى (كزاري)، من ثم تصنع في السد فتحات تسمى بـ(الشيحة) وتجمع (شيح)، وبين (شيحة) وأخرى مسافة يختلف طولها باختلاف طبيعة الهور وكثرة الأسماك، والمسافة الفاصلة

بين (الشيحتين) تسمى (ساعد)، وتتكون (الشيحة) من (چباشة) وهي جزيرة صناعية تصنع من الطين إن كان الماء ضحلا، وإن كان عميقا فتصنع من القصب والبردي وما شابههما من نباتات الهور وفي هذه الحالة تكون (الچباشة) عائمة وتثبت في الأرض بأعمدة، وفي جانب (الچباشة) تصنع (اللوذة) وهي من (البواري) أو القصب أو ما شابهها، وفائدتها تحمي (الشياح) وهو الصياد من الهواء، وتخفيه من الأسماك، وفي محاذاة (الچباشة) يصنع (البيت) وهو فتحة عرضها أقل من المتر وطولها اختياري، ومسور بخطين من القصب بحيث تكون الفتحة من الغرب إلى الشرق، وتعدل أرضه حتى يكون مستويا، وينصب فيه شبك محاك بطريقة خاصة حتى يكون مثل الكيس ويوضع في مقدمته من جهة الغرب (تر) وهو حبل، ويثقّل بأي معدن صغير بحيث لا يخيف الأسماك، وعادة يكون من الرصاص، وفي منتصف (التر) يربط (مجذب) وهو حبل ينتهي عند (الچباشة)، وتربط في منتصف قاع الشبك ثلاثة خيوط ترتفع إلى أعلى الشبك وتربط بخيط آخر يمتد أفقيا من جهة بيت (الشيحة) المعاكس حتى طرف (الچباشة) ويسمى بـ(الچشفة) أي الكاشفة، وفي نهايته يعلق (الدراغ) وهو جرس صغير.

كيفية الصيد

للأسماك رحلة إلى مصاب الأنهار في الأهوار من أجل وضع البيوض وتسمى (الزرة) وتكون في شهر كانون الأول أو قريب منه، من ثم تعود أدراجها إلى أعماق الأهوار وتسمى العودة (الخرطة) وتكون في نهاية شباط أو بداية آذار، فعند عودتها (من تخرط) تتلقاها (الشياچ) فتصطدم –الأسماك– (بساع الشيچ) فتبحث عن فتحة تمر منها كي تكمل رحلة عودتها، وعندما تجد الفتحة تدخل بها فتحرك خيوط (الچشفة) فيتحرك (الدراغ) ويطلق نغمات صوته المطرب فيسحب (الشياح) (المجذب) فينجذب الشبك إلى الأعلى بحيث يكون كيسا مغلقا بأحكام فيربط (الشياح) (المجذب) في خشبة معدة لذلك ويخرج الأسماك، فيضربها على رأسها بخشبة صغيرة تسمى (المفلاة) بالكاف الفارسية فيقتلها، أما إذا أراد الاحتفاظ بصيده حيا فيلقيه في (الهمالة) وهي كيس من الشباك يوضع في الماء بعد ربط فوهته بإحكام.

العراق - كربلاء المقدسة
الطريق الدولي - البهاتلية
Albahadeliah-Aldawli road-Holy Karrbala- Iraq
www.kh.iq 0750 0202 999
info@kh.iq 0750 0364 444
0773 0602 220
الهاتف الخاص للاستفسار حول التأمين الصحي
0782 2345 609
m.facebook.com/alkafeelhospital
alkafeel.hospital

مستشفى الكفيل التخصصي.. التقنية أقرب مما تتصور..

دولة القطيع الأسود

بقلم: باسم الساعدي

استطاعت بعض القبائل البدوية إنشاء دول وممالك قوية، بل استطاع بعضهم تأسيس إمبراطوريات ضخمة وقوية من أمثال المغول ومن بعدهم التتار، ومن تلكم القبائل قبيلتي (قره قوينلو، أو قرا قوينلو) و(آق قوينلو) التي عرفتا خطأ بالخروف الأسود والخروف الأبيض، فهما أبدلا حياة الرعي بالسياسة، والترحال مع قطعان الأغنام لأجل العشب والماء إلى الهجمات العسكرية لأجل توسيع مملكتهما، وسنوجز الكلام هنا عن أهم أخبار دولة القطيع الأسود، وفي عدد آخر -إن شاء الله تعالى- نخص الكلام عن القطيع الأبيض، .

أصولهم

أصل قبيلة (قرا قوينلو) التركمانية من جبال غازقرد في اقصى بلاد تركستان الغربية، هاجرت إلى أذربيجان وسيواس أيام أرغون خان المغولي، وسكنوا الصحارى، وعملوا عند الجلائرية، واتخذهم السلطان أويس الإيلخاني رعاة لمواشيه[١].

سبب تسميتهم

قبيلة قرا قوينلو هي قبيلة باراني[٢]، أو البارانية، نسبة لجدهم باران، كما استظهر ذلك بعض المؤرخين[٣] وقد اشتهروا بقطيع أغنام لهم أسود اللون فلقبوا بـ(قرا قوينلو) أي القطيع الأسود[٤]، أو سود الغنم، أما الخروف الأسود فهو ترجمة خاطئة «لأن (الخروف الأسود) لا يعني قراقوينلو، بل (قراقويون) فأهملت لفظة (لو) أو (لي) الدال على النسبة ويقصد منها سود الغنم على اعتبار الجنس فيقال قبيلة (سود الغنم) كما يقال (بيض الغنم) أو (سود المعز). و لفظ قويون لا يطلق على الخروف وإنما يراد به الجنس (الغنم) أو (الشياه) فكان الخطأ ظاهرا في الترجمة»[٥].

بدايتهم

كانت قبيلة القطيع الأسود أو قرا قوينلو رعاة عند الجلائرين، ثم استطاع احد أمرائهم وهو بيرام أو بيرم خاجا أو خواجة أخذ الموصل من الشيخ أويس بن الشيخ حسن بن حسين بن أقبغا ابن إيلكان، ثم أعادها أويس لسلطانه وصار بيرام عاملا أو تبعا له، وبعد موته خلفه ابنه قرا محمد، وبعد موته قتلا سنة ٧٩١ خلفه ابنه قرا يوسف، الذي أسس دولتهم دولة القطيع الأسود[٦]، واستمر قرا يوسف تبعا لاحمد بن أويس الذي كان صهرا لقرا يوسف على أخته، لكن بعد أن قتل أحمد رسله نشبت بينهم العداوة والحرب، فهجم على أحمد في بغداد فهرب منه إلى دمشق، وأخذ قرا يوسف بغداد سنة ٨٠٥[٧].

بداية دولتهم

كان أحمد بن أويس الجلائري يحكم بغداد وتوابعها، «وكان سلطانا فاتكا له سطوة على الرعية مقداما شجاعا مهابا سفاكا للدماء وعنده جور وظلم على أمرائه وجنده.. منهمكا في اللذات التي تهواها الأنفس»[٨]،

١ـ العراق بين احتلالين ٣: ٢٧، وأعيان الشيعة ١٠: ٣٢٢.

٢ـ أعيان الشيعة٣: ٣٠١.

٣ـ العراق بين احتلالين٣: ٢٧.

٤ـ أعيان الشيعة٤: ٢٤٩.

٥ـ العراق بين احتلالين٣: ٢٨.

٦ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة١١: ٣٨٩، و١٤: ١٦٣.

٧ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع٦: ٢١٦.

٨ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب٧: ١٠١.

وقد عم ظلمه رعيته وحتى الأمراء فكاتبوا نائب تيمور لنك في شيراز حتى يخلصهم منه، فهرب أحمد بن أويس إلى قرا يوسف ونصره الأخير وسار معه إلى بغداد فخرج لهم البغاددة وقاتلوهم وبعد طول القتال انتصروا على قرا يوسف وصهره فانهزما إلى شاطئ الفرات ومعهما نحو سبعة آلاف فارس، وبعثا للأمير دمرداش نائب حلب يسألانه النزول في بلاد الشام، إلا أنه جيش الجيوش وهجم عليهما فقاتلاه وانتصرا عليه[٩].

حروبهم

كان قرا يوسف بن قرا محمد في زمن تيمور لنك ثائرا متمردا، ففي الفترة التي كان تيمور في بلاد الروم ـ تركيا حاليا ـ استطاع الاستيلاء على العراق، فارسل تيمور إلى بغداد حفيده ميرزا عمر لقتال قرا يوسف، وأمر حفيديه ميرزا رستم ـ الذي كان في حدود همدان ـ وميرزا أبي بكر وزير الحلة بامداد حملة بغداد، والتقوا وقتل يار علي أخو قرا يوسف، فانهزم إلى مصر، التي قد وصلها أحمد بن أويس، فطلب تيمور من سلطان مصر تسليمهما إليه، وقد رضخ للأمر وقبض عليهما، إلا أن موت تيمور وهو في طريق الصين جعل صاحب مصر يطلقهما، واجتمع مع قرا يوسف ألف فارس من التركمان ممن ذهب معه إلى مصر فتحرك بهم حتى بلغ شاطئ الفرات، وقد خاض في مسيره مائة وثمانين معركة كان النصر حليفه في أجمعها، ووصل ديار بكر والتحق به بنو عمومته، واستولى على قلعة أونيك، وفي جمادى الأولى سنة ٨٠٩، قاتل ميرزا أبي بكر بن ميرانشاه بن تيمور قرب نَخْجُوان ـ وهو بلد بأقصى أذربيجان ـ[١٠] فهزمه، وقصد تبريز، وفي ٢٤ ذي القعدة سنة ٢١٠ حاول ميرزا أبي بكر الهجوم على تبريز فصده قرا يوسف على حدودها وهزمه، ثم استولى على أذربيجان، ومن ثم أعاد الكره على ديار بكر فهرب حاكمها قرا عثمان، أما علاقته مع صهره وحليفة أحمد بن أويس فلم تدم طويلا، ففي فترة من الفترات هجم أحمد وأخذ تبريز وقد قتل الكثير من التركمان حتى أنه «بنى في خوي منارة من رؤوس التراكمة وخربها بعد ذلك قرا يوسف

٩ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١٢: ٢١٥، والضوء اللامع لأهل القرن التاسع ١: ٢٤٥.

١٠ـ معجم البلدان ٥: ٢٧٦.

ودفن رؤوس أقربائه»[11]، فقد هاجمه قرا يوسف وأخذ تبريز وقبض على أحمد بن أويس الجلائري وقتله في ٢٠ ربيع الآخر سنة ٨١٣، وقد استولى على العراق وفتح بغداد بعد حصار دام عشر أشهر وأعطاها لابنه شاه محمد، وراح هو يتتبع قرا عثمان حتى حاصره في قلعة أرعني فطلب قرا عثمان الصلح لكن قرا يوسف قتله، وفي سنة ٨١٥ قاتل الأمير إبراهيم الشيرواني وانتصر عليه وأسره[12]، أما مع شاهرخ ابن تيمور فقد كانت العداوة مستعرة لكنها خمدت فتصالحا وتصاهرا سنة ٨١٤، وفي سنة ٨١٧ عادت نار العداوة واتقدت من جديد، وقد قاد ابن تيمور حملة من خرسان قوامها مائتا ألف مقاتل ومات قرا يوسف في ذي القعدة من سنة ٨٢٣ حتف أنفه[13]، «و لم يكن أحد من أولاده حاضرا

طلب الأمير اسفند من العلّامة ابن فهد الحلي مناظرة باقي العلماء وانتهى الأمر بسك العملة بأسماء الائمة الاثني عشر

عنده، فتفرق عسكره ونهبت خزائنه ومضاربه وسلبت ثياب بدنه، وكان في أذنه حلقة ذهب فقطعوها طمعا في الحلقة، وترك عريانا على وجه الأرض يومين وليلتين حتى حمل إلى ارجيش من بلاد أرمينية فدفن في مرقد آبائه وأجداده، فسبحان من لا يدوم الا ملكه وكانت مدة سلطنته ١٤ سنة وكسرا وخلف ستة أولاد»[14].

١١- أعيان الشيعة١٠: ٣٢٢.

١٢- أعيان الشيعة١٠: ٣٢٢.

١٣- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: ٢١٧، وأعيان الشيعة٧: ٣٢٩.

١٤- أعيان الشيعة١٠: ٣٢٣.

بعض أمرائهم

كان لقرا يوسف مؤسس مملكة قرا قوينلو ستة أبناء ذكور، وهم: ببر بوداق خان، والأمير إسكندر، وميرزا جهانشاه، والأمير شاه محمد، والأمير اسبان أو اسپند، والأمير أبو سعيد[15]، وإليك ترجمة بعضهم:

• الأمير إسكندر بن قرا يوسف، كان شجاعا قوي القلب لم يكن بقبيلته من يضاهيه شجاعة، لكن دولته كانت متزلزلة وقد استمرة ١٦ سنة قضاها في القتال، وخربت البلاد في أيامه من كثرة حروبه، فبعد موت أبيه اجتمع عليه عسكر أبيه وفي يوم الاثنين ٢٧ رجب سنة ٨٢٤ تقاتل مع جيش شاه رخ بن تيمورلنك في موضع يقال له يخشي واستمر القتال بينهما يومين، وفي اليوم الثالث انهزم إسكندر إلى حدود الفرات، ثم استطاع اخذ تبريز وجلس على تخت الملك، واستولى على آذربايجان، وفي سنة ٨٢٨ قتل في أردبيل عز الدين شير ملك كردستان، وفيها قتل الأمير شمس الدين ملك أخلاط، وفي سنة ٨٣٠ ذهب إلى شيروان وأكثر التخريب في شماخي، وفي سنة ٨٣٢ اخرج رجال شاه رخ من مدينة سلطانية، وفي يوم الثلاثاء ١٧ ذي الحجة من السنة المذكورة وقع القتال بينه وبين إسكندر وأخيه جهانشاه بظاهر سلماس، واستمر يومين وأخيرا فر إسكندر إلى جهة الروم، في سنة ٨٣٤ عاد إسكندر إلى آذربايجان وملكها وقتل أخاه أبا سعيد الذي كان قد نصبه شاهرخ واليا على آذربايجان، وفي سنة ٨٣٧ ذهب إلى شيروان

١٥- أعيان الشيعة٣: ٣٠١..

ونهب وقتل، وفي ٢ ربيع الآخر سنة ٨٣٨ توجه شاه رخ إلى العراق لدفع إسكندر فلما وصل الري جاء اليه ميرزا جهانشاه أخو إسكندر وذلك في ذي الحجة من السنة المذكورة وانضم اليه، وكذلك الأمير زادة شاه علي بن شاه محمد بن قرا يوسف، والأمير بايزيد اينلو ـ وهو من عظماء التركمان ـ فلما رأى إسكندر أنه لا يستطيع قتالهم جميعا ترك آذربيجان وفر هاربا إلى الروم بعد ما قتل قرا عثمان البايندري الذي كان في أسره، فجاء شاه رخ إلى آذربايجان وفوض سلطنة تلك البلاد إلى حدود الروم والشام إلى جنانشاه أخي إسكندر، وفي أوائل سنة ٨٤٠ رجع إسكندر من بلاد الروم والتقى مع أخيه جهانشاه في صوفيان تبريز وتحاربا فانكسر جيش إسكندر وهرب إلى قلعة النجق أو النجو فحوصر فيها وقتل هناك على يد ولده شاه قباد أو قوماط سنة ٨٤١[١٦].

• شاه محمد بن قرا يوسف انفرد بعد موت أبيه في حكم العراق مدة عشرين سنة إلى أن أخذ الحكم منه أخو اسپند او اسفند في سنة ٨٣٦ فهرب منها[١٧]، قتل في ذي الحجة سنة ٧٣٧ «على حصن يقال له شنكان من بلاد شاه رخ، وكان شر ملوك زمانه فسقا وإبطالا للشرائع»[١٨].

• ميرزا اسفند بن قرا يوسف «قد اختلفت النسخ في اسمه ففي بعضها اسپند بالباء الفارسية المنقطة بثلاث نقط من تحتها وفي بعضها بالفاء، وفي

١٦ـ أعيان الشيعة٣: ٣٠٢، والضوء اللامع لأهل القرن التاسع٢: ٢٨٠.
١٧ـ أعيان الشيعة٣: ٣٠١.
١٨ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع٨: ٢٩٢.

التاريخ الفارسي المخطوط سماه اسبان، والثلاثة أسماء لمسمى واحـد»[١٩]، وكان أخا قرا إسكندر لأبيه وأمه، وكان بخلاف سلسلة أهله كان بغاية العفة والشجاعة، فلما ارسل شاه رخ عسكرا إلى أذربيجان لمحاربة أخيه إسكندر في أواخر رجب سنة ٨٢٤ حمل ميرزا اسفند عدة حملات على عسكر شاه رخ وقتل كثيرا من أعيان العسكر، وكان قليل الأكل والمواقعة، وينكر على من يكثر منهما، اكتفى طول عمره بزوجة واحدة، وبعد أن طرد أخوه شاه محمد من بغداد صار حاكمها مع توابعها مدة اثنتي عشرة سنة، وهو الذي جعل المذهب الجعفري الاثني عشري المذهب الرسمي في بغداد كما سيأتي، مات في يوم الثلاثاء ٢٨ ذي القعدة سنة٨٤٨ مات على فراشه بمرض القالون[٢٠].

• الأمير جهانشاه بن قرا يوسف، صاحب العراقين وملك الشرق إلى شيراز وممالك آذربيجان، كان من عظماء الملوك، وكان سفاكا للدماء حتى انه قتل ابنه بيرشاه بضع بداق الذي كان شيعيا، شجاعا كريما [الضوء اللامع لأهل القرن التاسع٣: ٣، و٨٠]، فتح جهانشاه ديار بكر وعند رجوعه منها اغتاله الأمير حسن بيك آق قوينلو بين جبلين فقتله سنة ٨٧٢، وكان عمره سبعون سنة قضى منها ثلاث عشرة سنة في سلطنة آذربيجان نيابة عن شاه رخ بن الأمير تيمور واثنتين وعشرين سنة في العراقين وآذربيجان وفارس وكرمان إلى هرمز مستقلا[٢١].

١٩- أعيان الشيعة٣: ٣٠٠.
٢٠- مجالس المؤمنين٣: ٤٥١، وأعيان الشيعة٣: ٣٠١.
٢١- أعيان الشيعة: ٢٤٩.

عقيدتهم

المعروف المشهور أنهم شيعة، وقد استدلوا على تشيعهم بابيات شعر بلغتهم نقشت على خواتيم بعض أمرائهم وأميراتهم «وتجدر الإشارة هنا إلى أن الكثرة في القره قويونلو من أتباع المذهب السني. على أن فيهم جمهرة من الشيعة»[٢٢]، وهو البين الواضح، فقد ذكروا في ترجمة ميرزا اسپند أو أسفند أنه في سنة ٨٤٠ هجرية طلب الشيخ أحمد بن فهد الحلي وباقي علماء الشيعة في الحلة وغيرها إلى بغداد، ووقعت المناظرة بينهم وبين غيرهم من علماء بغداد فكانت الغلبة لعلماء الحلة، فامر بان تكون الخطبة والسكة بأسماء الأئمة الاثني عشر»[٢٣]، وفي ترجمة ابن فهد الحلي: «وله مع أهل الخلاف مناظرات وجدال محتدم إلى أن حدث ذات يوم.. تصدى في مجلس اسپند ميرزا التركماني والي العراق العربي إلى إثبات مذهبه وإبطال مذهب أهل الخلاف المقيمين في عراق العرب وغلبت حجته حجتهم، فمال الميرزا المذكور إلى مذهبه ونبذ المذهب المخالف[٢٤]، «وزين الخطبة والسكة بأسماء الأئمة المعصومين عليهم السلام»[٢٥].

٢٢- مستدركات أعيان الشيعة٦: ٣٤.
٢٣- أعيان الشيعة٣: ٣٠١.

زوالها

استمرت دولة قرا قوينلو ٦٤ سنة أو ٦٣[٢٦]، وضمت بحدودها بغداد وتبريز وماردين وما والاها من البلاد الجزرية وديار بكر[٢٧]، وغيرها من البلدان، ولم تكن مستقرة فقد كانت الحروب تعصف بها، أضف إلى الفتن التي دبت بين الأخوة الأمراء التي ذكرنا بعضها بإيجاز مع ذكر تراجمهم، وكان زوالها على يد الأمير حسين بيك آق قوينلو مؤسس دولة الآق قوينلو أو دولة القطيع الأبيض، «وصاحب التاريخ الفارسي ذكر ان آخرهم حسن علي بن جهانشاه بن قرا يوسف الذي قتل سنة ٨٧٣ ثم قال وأول سلاطينها قرا يوسف»[٢٨].

٢٤- مجالس المؤمنين٢: ٣٦٨، و٣: ٤٥١.
٢٥- خاتمة مستدرك الوسائل ٢: ٢٩٣.
٢٦- أعيان الشيعة٣: ٣٠١.
٢٧- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع٦: ٢١٨.
٢٨- أعيان الشيعة٣: ٣٠١.

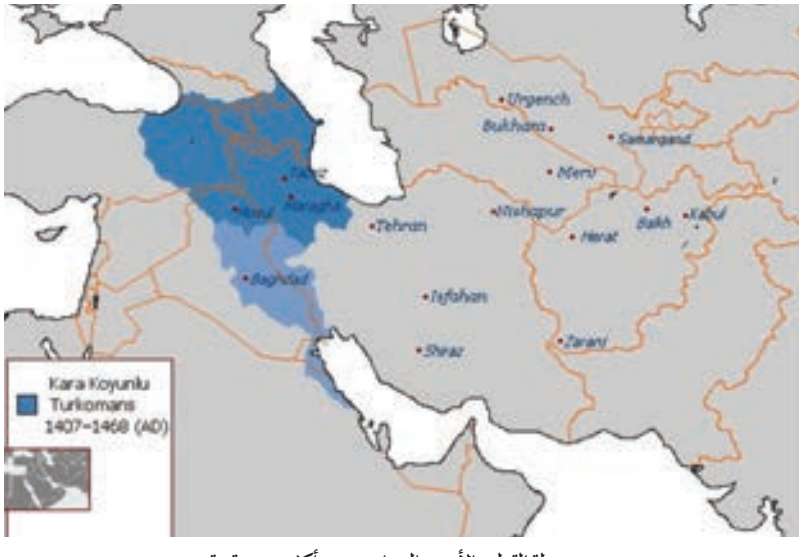

حدود دولة القطيع الأسود التي استمرت أكثر من ستة عقود

الإمام السيد محسن الحكيم

بقلم: سيلم الجبوري

ساهم في تطوير المرجعية العليا، دعم المؤسسات الدينية والثقافية، وأنشأ المكتبات العامة في المحافظات والاقضية والنواحي، ناصر القضية الفلسطينية ودعم دار التقريب بين المذاهب الاسلامية في القاهرة، حارب الطائفية والتميز العنصري، وحرم قتل الاكراد.

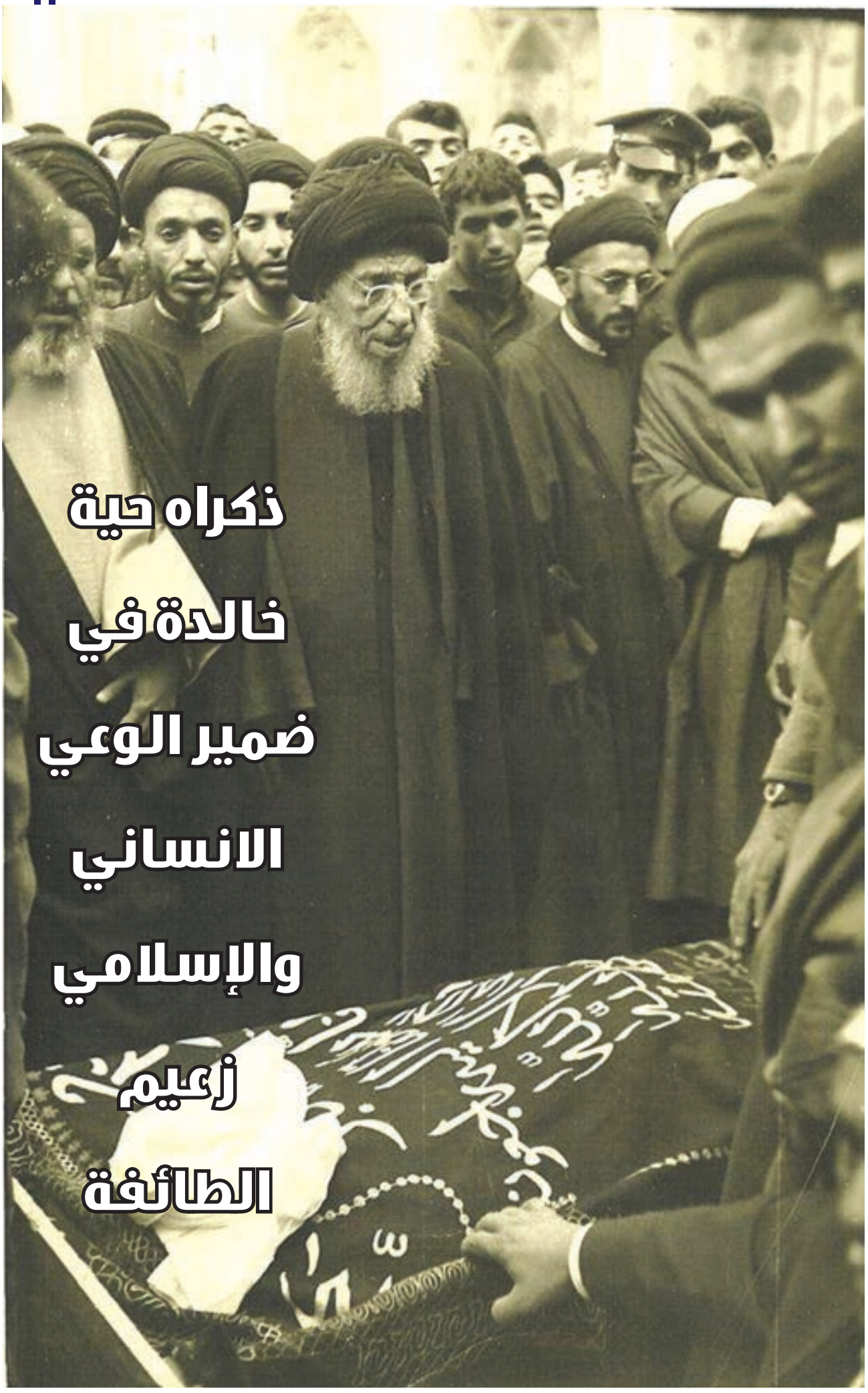
ذكراه حية
خالدة في
ضمير الوعي
الانساني
والإسلامي
زعيم
الطائفة

٤٧ عاماً مضت على رحيل الإمام السيد محسن الحكيم زعيم الطائفة ولا تزال ذكراه حية خالدة في ضمير الوعي الانساني والإسلامي، سيرة عطرة ومواقف مشهودة في الدفاع عن الاسلام والوطنية، وجهاد كبير ترسخ في شخصيته الفذة.

حين بلغ السيد الثالثة من عمره غادر والده إلى لبنان وكيلاً لبنت جبيل وتوفي هناك بعد ثلاث سنوات

السيد محسن الحكيم سجل حافل بالمعطيات والإنجازات، فلقد حظيت شخصيته بالإكبار والإحترام من قبل العلماء والزعماء، وهو الذي رسخ عمقاً مهماً للحوزة، وأعاد لها اعتبارها بعد أن كانت الأنظمة التي تعاقبت على حكم العراق التشويش على المرجعية العليا، لكنه طورها ونماها وأسس جواهرها وشرائعها وأنهارها ورسخ تبصرتها وعروتها ودمجها بالمستمسك بالعروة الوثقى الذي حلل مصطلحاتها وغوامضها، وفك ألغازها الفقهية وشرعها بالمنهاج والفرائد من مصادر التشريع الى الاستصحاب.

لم يكن السيد محسن الحكيم مرجعاً أو فقيهاً فحسب، بل كان يعيش هموم الأمة الاسلامية وتطلعاتها وواكب مسيرتها، وأسس لعلاقات إسلامية واجتماعية عابرة للأديان والطوائف، وأكد على أساس الحوار الجاد، ودعم دار التقريب والوحدة الاسلامية في القاهرة وكانت له علاقات متينة مع الأزهر الشريف، كما تفاعل مع القضية الفلسطينية ودافع عنها وذاب في محورها.

ندد بثقافة الطائفية والعنصرية والفرقة الجاهلية، وهو المرجع الذي استقطب كبار الشخصيات الدينية والسياسية والاجتماعية، رفض قتال الشعب الكردي وحرم المواجهة بينهم وبين العرب، وما تزال كوردستان تسجل له هذا الموقف المشرف.

حمل في مرجعيته تطلعات عصرية في نشر ثقافة الوعي من خلال وكلائه البارزين وجلهم كان يمثل القطب الأوحد، إذ نشر هؤلاء في المحافظات العراقية وبعضهم كان من الشخصيات اللبنانية، فأسس مراكز ثقافية ومكتبات

عامة في كثير من المحافظات والأقضية والنواحي، كل ذلك كان يريد منه مواكبة تأصيل الوعي وإشاعة روح التقدم الفكري والأدبي، وشهد عصره المنعطفات المهمة، وصارت مرجعيته تمثل عمقاً وفكراً، فصارت الوفود تقصده وتسمع منه جواهر الكلم والمنطق العذب، تصدى للخط اليساري المتطرف ولقنه درساً بالغاً.

من هو السيد محسن الحكيم؟

هو السيد محسن بن السيد مهدي بن السيد صالح بن السيد أحمد بن السيد محمود بن السيد ابراهيم بن الأمير السيد علي الحكيم الطباطبائي النجفي، يعود نسبه الى الإمام الحسن بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام.

ينتمي الى أسرة عريقة في العلم والفكر والأدب وهي من الأسر المشهورة في العراق وخارجه، احتلت موقعها العلمي ضمن أجيال متعاقبة، وأما والدته فهي حفيدة العالم الكبير الشيخ عبد النبي الكاظمي الذي كان أميناً على صندوق الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، ثم أقام في جبل عامل منطقة (جديا) فكان شيخها وسندها وعاش في جوارها ودفن في مقابرها.

ولد عام (١٣٠٦هـ) الموافق يوم عيد الفكر (١٨٨٩م)، نشأ وترعرع وتربى في أحضان والده الذي غذاه من حنانه وعنفوان تربيته، إلّا أن والده غادر وله من العمر ثلاث سنوات، إذ تم تكليفه من قبل الشيخ محمد طه نجف ليكون وكيله في جبل عامل بنت جبيل.

ورحل والده عن الدنيا وهو في السادسة من عمره وتولى أخوه الأكبر

السيد محمود تربيته، إذ كان يكبره بالعمر، وتمرد السيد محسن الحكيم على حالة اليتم وجسدها بالثبات والصبر والإرادة ومواصلة مشواره العلمي، ولقد تلقى تربية فائقة في القيم والمثل العليا والأخلاق الراقية، وينقلٍ الشيخ حسين الحلي: عندما كنا شباباً وبدأنا بالدرس كان النموذج الذي نتأسى به بدراستنا وسلوكنا بشكل خاص هو السيد محسن الحكيم: وتميز بمزايا عديدة وخصائص مهمة تجلت في مسيرة حياته وأصبحت الركن الحقيقي لمساره الطويل قوة الإرادة الصلبة والطموح الجاد نحو الرقي والتقدم العلمي، والإعتماد على نفسه في كثير من الحالات حتى في بحوثه ودروسه ومواكبة العصر.

دراسته

أحب السيد محسن الحكيم العلم منذ نشأته الأولى وعاش في عصر علمي ذهبي تكفل بصناعة العباقرة، لذلك عاش ودرس على أفذاذ يعدون من عمالقة الفقه والأصول في الحوزة العلمية بالنجف الأشرف، فقد درس المقدمات على أخيه الأكبر السيد محمود الحكيم والذي أعطاه من خبراته وتجاربه وشجعه على التواصل العلمي، فقد وجد في شخصية السيد محسن الذكاء المفرط والنبوغ الحاد والشخص الدؤوب نحو المعرفة، مما جعله يدرس على أهم علماء النجف الأشرف، وهم:

الشيخ محمد كاظم الخراساني
الشيخ محمد باقر الجواهري النجفي
الشيخ ميرزا محمد حسين الغروي النائيني
السيد محمد سعيد الحبوبي

واكب السيد محمد سعيد الحبوبي في مسيرته الجهادية في الشعيبة، إذ

كان يعتمد عليه كثيراً وينوه عنه وعن ذكائه وعبقريته، وكان خازن أسراره واكتشف السيد محمد سعيد الحبوبي فيه قوة الذاكرة ودقة التحليل والأسلوب الدقيق الذي يشخص كوامن الأمور بروح هادئة ومطلعة على الأحداث والأمور.

تلامذته وطلابه

تلمذ على يد الإمام الحكيم في بحثه الخارج عدة آلاف من طلاب الحوزة العلمية في النجف الأشرف ـ عراقيين ومهاجرين ـ ونظراً لبعد المدة وتطاول الزمن، وموت الرجال فيتعذر الإحصاء، ولأن فيهم إيرانيين وهنوداً وباكستانيين وأفغانيين وتبتاً، وجاليات أخرى، وأغلب العرب لا يعرفون أسمائهم، وإن طبقوا أشكالهم، وانتهى الرعيل الأول والثاني من الطلاب، ولسنا على معرفة بهم، نعم تحتفظ الذاكرة بقسم منهم ممن أدركتهم، وأنا أوردهم بحسب الترتيب الألفبائي كنموذج لطلابه على سبيل المثال لا الإحصاء والإستقصاء، وما لا يدرك كله لا يترك جله.

السيد اسماعيل الصدر
الشيخ أبو الحسن الأنواري
الشيخ أحمد الأنصاري
السيد جعفر المرعشي
السيد حسين مكي العاملي
السيد حسن الموسوي الخرسان
الشيخ حسن محسن الجواهري
السيد سعيد الحكيم
الشيخ صادق الشيخ باقر القاموسي
السيد ضياء الدين بحر العلوم
السيد علي الحسيني السيستاني
الشيخ علي الصغير
السيد عبد الرزاق الموسوي المقرم
الشيخ عبد المهدي مطر
السيد عبد المحسن فضل الله
الشيخ علي سماكة الحلي
السيد علي السيد هادي بحر العلوم
السيد محمد باقر الصدر
الشيخ محمد اسحق فياض
الشيخ محمد آصف محسني
الشيخ محمد أمين زين الدين
الشيخ محمد الشيخ راضي
الشيخ محمد تقي الايرواني
الشيخ محمد تقي الجواهري
السيد محمد تقي الجلالي
الشيخ محمد جواد الحمامي
الشيخ محمد جواد مغنية
السيد محمد سعيد الحكيم
السيد محمد علي الحكيم
السيد محمد سرور الواعظ
السيد محمد صادق بحر العلوم
السيد محي الدين الغريفي
السيد محمد مهدي حسن الخرسان
الشيخ محمد جواد السهلاني
السيد محمد تقي بحر العلوم
الشيخ محمد مهدي شمس الدين
الشيخ هادي شريف القرشي
السيد يوسف محسن الطباطبائي الحكيم

مؤلفاته:

مستمسك العروة الوثقى(١٢) مجلد.
حقائق الأصول
نهج الفقاهة
دليل الناسك
منهاج الصالحين (١+٢)
منهاج الناسكين

رواية
السنن النفسية لتطور الأمم

بقلم: عدنان الياسري

المؤلف

غوستاف لوبون: يعد المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون واحدا من أشهر المؤرخين الأجانب الذين اهتموا بدراسة الحضارات الشرقية والعربية والإسلامية، ويعد أيضا واحدا من فلاسفة علم الاجتماع، كان في الأصل طبيبا تولى عام (١٨٧٠م) رئاسة الأطباء العاملين في إحدى قطع الجيش الفرنسي بباريس، كان لوبون مولعا بدراسة الحضارات القديمة، وبدراسة الأسس النفسية للشعوب والأمم؛ سعيا إلى استخلاص القوانين التي تحكمها، وكان كاتبا غزير الإنتاج من أشهر كتبه: حضارة العرب، والأسس النفسية للحرب.

ولادته

ولد في مقاطعة نوجيه لوروترو، بفرنسا عام ١٨٤١م، درس الطب، وقام بجولة في أوروبا وآسيا وشمال أفريقيا، اهتم بالطب النفسي وأنتج فيه مجموعة من الأبحاث المؤثرة عن سلوك الجماعة، والثقافة الشعبية، ووسائل التأثير في الجموع، مما جعل من أبحاثه مرجعا أساسيا في علم النفس، ولدى الباحثين في وسائل الإعلام في النصف الأول من القرن العشرين.

أسهاماته

لقد أسهم في الجدل الدائر حول المادة والطاقة، وألف كتابه «تطور المواد» الذي حظي بشعبية كبيرة في فرنسا، وحقق نجاحا كبيرا مع كتابه «سيكولوجية الجماهير»، ما منحه سمعة جيدة في الأوساط العلمية، اكتملت مع كتابه الأكثر مبيعا «الجماهير: دراسة في العقل الجمعي»، وجعل صالونه من أشهر الصالونات الثقافية التي تقام أسبوعيا، لتحضره شخصيات المجتمع المرموقة مثل: بول فالري، وهنري برغسون، وهنري بوانكاريه.

ماعرف عنه

عرف عنه بأنه أحد أشهر فلاسفة الغرب الذين أنصفوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية، فلم يسر على نهج مؤرخي أوروبا الذين صار من تقاليدهم إنكار فضل الإسلام على العالم الغربي، لكن لوبون الذي ارتحل في العالم الإسلامي وله فيه مباحث اجتماعية، أقر أن المسلمين هم من مدنوا أوروبا، فرأى أن يبعث عصر العرب الذهبي من مرقده، وأن يبديه للعالم في صورته الحقيقية، فألف عام ١٨٨٤م كتاب «حضارة العرب» جامعا لعناصر الحضارة العربية وتأثيرها في العالم، وبحث في أسباب عظمتها وانحطاطها وقدمها للعالم تقديم المدين الذي يدين بالفضل للدائن.

وفاته: توفي في ولاية مارنيه لاكوكيه، بفرنسا ١٩٣١م.

الكتاب

كتاب في علم الاجتماع للمؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون، يتناول فيه صفات العروق النفسية، والحدود التي تتغير عند فواصلها الأخلاق، وروح العروق وكيفية اشتقاق النظم منها، وتكوينها التاريخي ونظام مراتبها. يتناول أيضا التفاوت التدريجي للأفراد في منظومة العروق، ويناقش كيفية تجلي الأخلاق النفسية في مختلف عناصر الحضارات، التي تعتبر مظهرا خارجيا لروح الأمة، وكيفية تحول النظم والديانات واللغات والفنون. طبع الكتاب عام ١٨٩٤م، وترجم إلى العربية عام ١٩١٣م، ثم ترجم مرة أخرى عام ١٩٥٠م.

موضوع الكتاب

لاشك أن علوم السلوك الانساني والتطور الثقافي والحضاري تحوز جانبا كبيرا من اهتمام المفكرين وعلماء الاجتماع، وفي هذا الكتاب يطرح «غوستاف لوبون» رؤيته للأبعاد النفسية لتطور المجتمعات، ويوضح المؤلف عبر دراسة متأنية أن لكل عرق سمات نفسية ثابتة ثبات الصفات البيولوجية، حيث يرث الأفراد المزاج النفسي لأسلافهم، ويظهر أثر تلك المزاجات جليا في التكوين الحضاري للأمة ككل، فاعتمال الأفكار والمبادئ والمعتقدات المتوارثة في الوجدان الجمعي لأمة ما، يفرز أنماطا مختلفة من النظم والفنون التي تطبع بدورها المظهر الحضاري الخارجي لتلك الأمة بروح خاصة تميزها عن غيرها، وتزداد متانة تلك الروح عبر الزمن، حتى تبلغ درجة عالية من العمق والتعقيد، فيتعذر تناقلها بين أمة وأخرى، وكذا يكون من الصعوبة بمكان فصمها أو تغييرها تغييرا جذريا، فيما يكون انحلال روح الأمة نذيرا بانحطاطها وتدهورها، في هذا الكتاب بحث لوبون في الصفات النفسية للأعراق البشرية، وتغير أخلاقها ومراتبها، وفي تفاوت الأفراد والعروق، وفي تكوين العروق التاريخية، وفي كون عناصر الحضارة مظهرا خارجيا لروح الأمة، وفي تحول النظم والمعتقدات والفنون، وفي تأثير المبادئ في حياة الأمم، وفي تأثير الديانات في تطور الحضارات، وفي شأن العظماء في تاريخ الأمم، فبين في كتابه هذا أن الحضارات كلما تقدمت تفاوتت الشعوب والأفراد، وأن البشرية تسير إلى التفاوت لا إلى المساواة، ومما وجده لوبون أن العروق تختلف فيما بينها بما تشتمل عليه من صفوة الرجال، وأن الحضارات تؤدي إلى تفاوت الأفراد بالتدريج من الناحية الذهنية، وأن الأمم كلما تقدمت في ميدان الحضارة تفاوت الجنسان فيها بنسبة هذا التقدم وناقش لوبون اشتقاق تاريخ الأمم من أخلاقها، وقدم تطبيقا لاشتقاق النظم من روح الأمة على البحث المقارن في تطور الولايات المتحدة الأمريكية والجمهوريات الإسبانية، ودور تغيير روح العروق في تطور الأمم عبر التاريخ، وبين أن لكل عرق سمات نفسية موروثة، كما تورث الصفات البيولوجية، حيث يرث الأفراد المزاج النفسي لأسلافهم. تطرق الكتاب أيضا إلى تأثير الأفكار على حياة الأمم، ودور المعتقدات الدينية في تطور الحضارات، ودور عظماء الرجال في ذلك، ثم بحث في انحلال أخلاق العروق وانحطاطها، والأسباب التي أدت إلى إطفاء شعلة حضارات عريقة عبر التاريخ... وكتاب «السنن النفسية لتطور الأمم» عظيم الشأن، وهو لهذا العظم اتفق له من الأثر البالغ في أقطاب السياسة ما رأوا معه اتخاذه خير رفيق لهم، حتى إن رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية، ثيودور روزفلت، كان يستصحبه في حله وترحاله مستلهما إياه في سياسته، كما صرح بذلك غير مرة.

ملخص افكار الكتاب

لأهمية هذا الموضوع وارتباطه باوضاعنا الراهنة بشكل أو باخر وخصوصا في ظل التراجع الثقافي والمعرفي تطرح افكار الكتاب على شكل نقاط من اجل حصرها ولتعميم الفائدة أيضا.

أولا: لكل أمة أو عرق صفات نفسية ثابتة ثبات صفاته الجسمية تقريبا، وكما أن الصفات الجسمية «أو التشريحية الجثمانية» تتغير ببطء شديد، كذلك الصفات النفسية لا تتغير إلا على طول السنين ومر الأجيال.

ثانيا: يتكون مزاج الأمة من صفات نفسية أساسية موروثة، ومن صفات ثانوية تنشأ من تغير البيئة، وتتجدد على الدوام، فيخيل لذلك أن الأمة في تحول مستمر كبير.

ثالثًا: مزاج الأمة العقلي والنفسي لا يتكون من خلاصة أفرادها الأحياء وحدهم، بل من أمزجة أجدادهم أيضا، فالأموات لا الأحياء هم الذين يمثلون أهم دور في كيان الأمة؛ لأنهم أوجدوا أدبها، وعوامل سيرها اللاشعورية.

رابعاً: تمتاز الأمم بعضها عن بعض بفروق تشريحية كما امتازت بفروق نفسية، والأولى ملازمة للثانية، والفرق ضعيف بين أفراد «المستوى الوسط» في أمة وأمثالهم في أمة أخرى، لكنه عظيم جدا بين أفراد الطبقات الراقية، ومن هذه المقارنة يتبين أن الذي يميز الأمم الراقية «أو العروق العليا» عن الأمم الدنيا، هو احتواء الأولى على عدد غير قليل من ذوي العقول الكبيرة بخلاف الثانية.

اعتبر لوبون أن العرب هم من مدّن أوروبا

خامسا: يتساوى أفراد الأمم المتخلفة «أو أفراد العروق الدنيا» فيما بينهم، مساواة واضحة، وكلما ارتقت الأمة في سلم الحضارة، ازدادت الفروق بين أفرادها، فأثر الحضارة الذي لا بد منه هو: إيجاد الفروق بين الأمم وبين الأفراد، وعليه فإن الأمم تسير نحو التفاوت الزائد لا نحو المساواة.

سادسا: حياة الأمة ومظاهر حضارتها مرآة لروحها وصدى لها، ومظاهر الحضارة وحوادثها الخارجية دلائل منظورة على أمر موجود لكنه غير منظور.

سابعًا: الشأن الأول في حياة الأمم لأخلاقها، وليس لنظمها السياسية، ولا للأحوال الخارجية، ولا للمصادفات.

ثامنا: لا يمكن نقل عناصر حضارة أمة معينة إلى أمة أخرى من غير إحداث تغيير في هذه العناصر؛ لأن عناصر حضارة الأمة هي دلائل خارجية على مزاجها النفسي، وعقليتها، وكيفية نظرها للأمور، وتصورها للأحداث، والذي يمكن نقله فقط هو: الأشكال الخارجية، والصور السطحية التي لا أهمية لها.

تاسعا: اختلاف الأمم في أمزجتها النفسية والعقلية يجعل كل واحدة منها تتصور الوجود بصورة خاصة بها، وينشأ عن هذا شدة اختلافها في ثلاثة أشياء: «في الحس أو الشعور، والعقل أو التمييز، والعمل أو السير»، ويقوم النزاع بينها على جميع المسائل متى احتك بعضها ببعض، وهذا التنازع هو سبب جميع الحروب المدونة في التاريخ.

عاشرا: لا يتكون من مجموع أفراد مختلفي الأصول أو العروق شعب مستقل، له روح عامة مشتركة، إلا إذا كثر التزاوج والتوالد والتناسل بينهم عدة قرون، وعاشوا في بيئات متماثلة، نجم عنها: مشاعر متماثلة، ومصالح مشتركة، ومعتقدات واحدة.

أحد عشر: تبلغ الأمة ذروة مجدها، وأَوج عظمتها عندما تحوز روحا جامعة، قوية، عامة، متينة التركيب، وتسقط متى انحلت هذه الروح، وأهم العوامل في هذا الانحلال: دخول عنصر أجنبي في الأمة.

اثنا عشر: تخضع الأنواع النفسية «كالأنواع التشريحية» لعوامل الزمن، كلاهما يهرم ويموت، وتحتاج الأنواع كلها في تكونها إلى زمن طويل، لكنها قد تزول في وقت قصير، فالأمم تقطع قرونا طوالا قبل أن يثبت لها مزاج عقلي خاص، وقد تفقده في برهة يسيرة، فالشقة التي تسير فيها إلى الحضارة بعيدة، ومنحدر السقوط قصير غالبا.

ثلاثة عشر: المبادئ بعد الأخلاق هي أهم عوامل بناء الحضارة وتطورها، ولكنها لا تؤثر إلا بعد أن تتطور على مهل، حتى تصير شعورا، وتصبح جزءا من الأخلاق نفسها، وتخرج من دائرة البحث والنظر، ولا تزول المبادئ إلا بعد زمن طويل، وكل حضارة ترجع إلى عدد قليل من المبادئ التي يجمع عليها أبناؤها.

أربعة عشر: أهم المبادئ التي تؤثر في الحضارة وتوجهها هي المبادئ الدينية، وأعظم حوادث التاريخ نشأت عن المعتقدات الدينية. هذه تقريبا أهم الأفكار التي وردت في الكتاب، أما أهم فصوله وأكثرها إثارة وتشويقا، فهما فصلان، أحدهما بعنوان: «شأن عظماء الرجال في تاريخ الأمم»، والآخر بعنوان: «كيف تذبل الحضارات ثم تموت»، وهذه نظرة سريعة على أهم ما جاء فيهما.

أولا: شأن عظماء الرجال في تاريخ الأمم

١ـ إذا أخرجنا من كل جيل هذه الطائفة الصغيرة من عظماء الرجال، سقط مستوى الأمة العقلي سقوطًا كبيرا، فإلى هذه الطائفة يرجع الفضل في الرقي الذي وصلت إليه العلوم والفنون والصناعة، وبالجملة جميع فروع الحضارة.

٢ـ يبالغ الناس في شأن عظماء الرجال، وهؤلاء العظماء إنما يشيدون في الحقيقة أبنية من أحجار، هندسها من سبقهم على مدى الزمان، ولا يوجد في الاكتشافات أو الاختراعات الكبيرة ما يجوز نسبته إلى رجل واحد، فهي ثمرة أتعاب سابقة.

٣ـ يخيل للناس أن عظماء السياسيين غير مرتبطين برباط مع الماضي، ولكنهم ـ في واقع الأمر ـ ليسوا أقل ارتباطا به من المخترعين والمكتشفين، ولقد انبهر بعض المؤرخين بعبقريات بعض العظماء، فأرادوا أن يجعلوا منهم «آلهة» يغيرون بهم مصاير الأمم، لكن هذا غير صحيح؛ لأن السبب الحقيقي لنجاحهم موجود قبلهم بزمن طويل، ولو ظهروا قبل عصورهم لما نجحوا في تحقيق ما حققوا، إن مثلهم كمثل المكتشفين يمثلون ثمرات مجهودات طويلة سابقة.

٤ـ للمخترعين والمتكشفين شأن كبير في تطور حضارة المستقبل، ولكن لا شأن لهم مباشرا في تاريخ الأمة السياسي؛ لأنهم لا يملكون من الصفات النفسية والخلقية ما يمكنهم من إقامة مذهب، أو فتح مملكة، وتجردهم من هذه الصفات آت من كونهم أهل تفكير وتدقيق، والمفكر يعرض عن الأطماع؛ لأن الذي يستحق منها عنايته وتضحيته نادر، فلا يحفل بها .

٥ـ إن عظماء المكتشفين يعجلون سير المدنية، أما المتعصبون، والمتحمسون، والمتصفون بالقوة النفسية، وشدة الشهوة

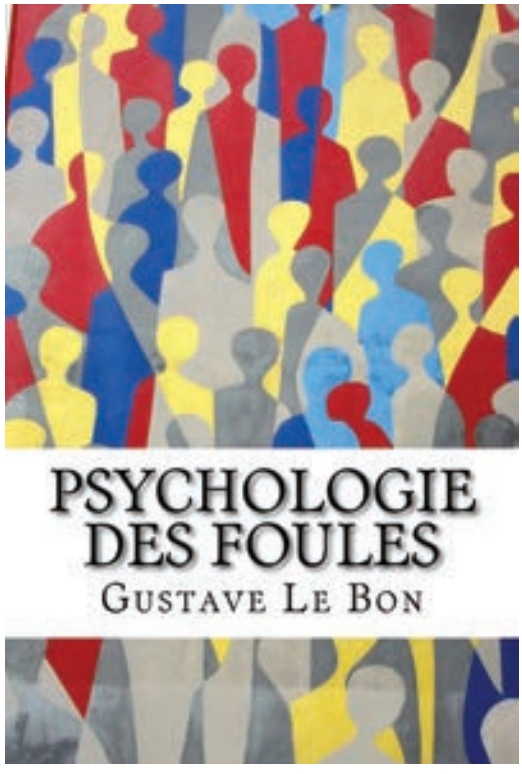

ـ فهم الذين يصنعون التاريخ.

٦ـ لا حول ولا قوة لرجل في تحريك أمة إلا إذا جسد آمالها وأحلامها، وإن قواد البشر هم الذين يمثلون مبادئ البشر، ويعملون على نشرها، وإن شئت فقل: قائد الناس مبادئهم، ولا عبرة بما إذا كانت هذه المبادئ حقا أم باطلا.

ثانيا: موت الحضارات

١ـ إن الكفاءات العقلية، والخصائص النفسية التي تتكون خلال الأزمنة الطويلة تزول في وقت قصير، فالشجاعة، وقوة الاستنباط، والعزيمة وغيرها من الصفات الخلقية، كلها بطيئة التكوين، وهي سريعة الزوال إذا لم تجد محلا تعمل فيه.

٢ـ إذا أمعنّا النظر في أسباب سقوط جميع الأمم التي يذكرها التاريخ بلا استثناء، وجدنا أقوى العوامل في انحلالها هو تغير مزاجها العقلي وصفاتها النفسية بسبب انحطاط أخلاقها، ولست أعلم أن دولة واحدة سقطت لانحطاط الذكاء في قومها.

٣ـ إذا بلغت الأمة ذروة الحضارة والقوة، فأمست في مأمن من غارة الجار، ومالت إلى التمتع بنعمة السلام والمعيشة الراضية، ماتت فضائلها الحربية، وتجدد لها من الحاجات بقدر ما زاد في حضارتها، وتمكن حب الذات من النفوس، ولم يعد من همها إلا سرعة التمتع بالخيرات التي نالتها على عجل، فتنصرف الهمم عن الاشتغال بالمصالح العامة، وتضيع في الناس الفضائل التي كانت سببا في عظمة الأمة،

وحينئذ يغير عليها جارها من الأمم المتبربرة، أو التي هي في حكمها؛ لأنه إن كان أقل منها حضارة، فلديه مثل أعلى قوي جدا، ثم يهدم حضارتها ويقيم على أطلالها حضارة أخرى، ذلك ما جرى للرومانيين والفرس، فإنهم على ما كانوا عليه من إحكام النظام، شتت البربر شمل الدولة الأولى، كما شتت العرب شمل الثانية، ومن المحقق أن الذي أعوز المغلوب لم يكن هو العقل والذكاء، بل أنه لا مناسبة في ذلك بين الغالب والمغلوب؛ لأن أرقى العقول وأكبر الفطن ظهرت في روما، وهي حبلى بموجبات سقوطها، أعني في عصر الإمبراطورية الأول، ففي ذلك الزمان نبغ أهل الفنون والأدباء والعلماء، وإلى ذلك العصر ترجع جميع الأعمال التي بنِي عليها مجد تلك الأمة الباذخ، ولكنها كانت قد أضاعت العامل الأساسي الذي لا يقوم الذكاء مقامه مهما بلغ، ألا وهو الخلق.

٤ـ كان للرومانيين الأولين حاجات قليلة ومثل عال قوي هو عظمة روما، وكان هذا الخيال مستوليا على جميع القلوب، وكل وطني كان يفديه بالمال والنفس والعيال، فلما صارت روما قطب دائرة الدنيا وأغنى مدينة في العالم، جعل الأجانب ينسلون إليها من كل حدب، فمنحتهم في آخر الأمر لقب مواطنين، وما كان لهم حظ إلا التمتع بزخرفها، وما كان لهم عناية بعزها وعلو مكانتها، أصبحت تلك المدينة الكبرى محشرا للخلائق من جميع الأجناس، إلا أنها لم تكن إذ ذاك روما، وكانت تلوح عليها في الظاهر علامات الحياة، ولكنها كانت لفظت روحها منذ عهد بعيد .

٥ـ وهناك أسباب شبيهة بالتي سبقت، تهدد بقاء حضارتنا الراقية، ويزاد عليها أسباب جديدة آتية من التغير الذي طرأ على الأفكار بتأثير الاكتشافات العلمية العصرية، فقد بدل العلم بأفكارنا الأولى أفكارا أخرى، وأفقد ما كان للمبادئ الاجتماعية الدينية من التأثير في الناس.

٦ـ إن أهم الشروط التي تلزم لنهوض الأمم المائلة إلى السقوط: تعميم نظام الجندية، وجعله قاسيا جدا، وأن تكون الأمة على الدوام مهددة بحروب طاحنة.

من اقواله

ـ إنما يستدل على عقل المرء و خلقه بعمله.

ـ إن معرفة فن التأثير على مخيلة الجماهير تعني معرفة فن حكمها.

ـ إذا قيل أن كل ما لا يدركه العقل معجزة، فحياة كل إنسان معجزة دائمة.

ـ الحياة الواعية للروح البشرية لا تشكل إلا جزءا ضعيفا جدا بالقياس الى حياتها اللاوعية

ـ إن المرء الذي استحوذ عليه إيمانه يصبح رسولا مستعدا للتضحية بمنافعه وسعادته وحياته في سبيل نصره.

ـ اللذة عارضة، والرغبة أبقى. لذلك يقاد الناس برغباتهم أكثر مما يقادون باللذات.

أقتباس من الكتاب

والأمم ـ وهي لاكبير تأثير للعقل فيها ـ مسيرة باخلاق عرقها، أي بمجموع المشاعر والاحتياجات والعادات والرغبات التي هي دعائم روحها الأساسية، وتمن هذه الروح القومية على الأمم بثبات دائم مع تقلبات الحوادث على الدوام.وهنا نلمس سر التاريخ، وهنا نلمس القوى الخفية التي توجه مجراه. والعرق بالحقيقة هو الذي يعين الوجه الذي تسير به الأمم بفعل الحوادث وتقلبات البيئة.وتهيمن روح العروق على مقادير الأمم حين تسيطر على النظم والقوانين وعلى عزائم الطغاة. وتعين معرفة روح العروق على ألغاز التاريخ،وتخبرنا معرفة روح العروق بأسباب العظمة والانحطاط ،وبالعلة في نماذج أمم وعجز أمم عن ذلك، والعرق هو حجر الزاوية الذي يقوم عليه توازن الأمم، والعرق هو الذي يعين الحد النفسي لطموح الفاتحين ولما يبتدعونه أخيلة العظمة والتصدر...

قيل عنه

قال عنه المؤرخين: أنه من أهم وأشهر فلاسفة الغرب الذين أنصفوا الحضارة العربية والإسلامية

وأشاد الكثير من النقاد بأسلوب غوستاف، حيث أنهم قالوا عنه: أنه تحرر من جميع مبادئ التي اعتمد عليها العلماء السابقين له وفي كتاباته تحرر لوبون من جميع المذاهب الاجتماعية فينتهي إلي نتائج مخالفة لما ألفه العلماء من المبادئ والآراء، فيعد، بحق، مجددا في علم النفس وعلم الاجتماع، إماما موجها فيهما

وقيل أيضا: من الواضح أن المؤرخ غوستاف هو من أفضل الأشخاص الذين قاموا بدراسة تاريخ العرب والشرق كله بشكل عام .

متوفر في :

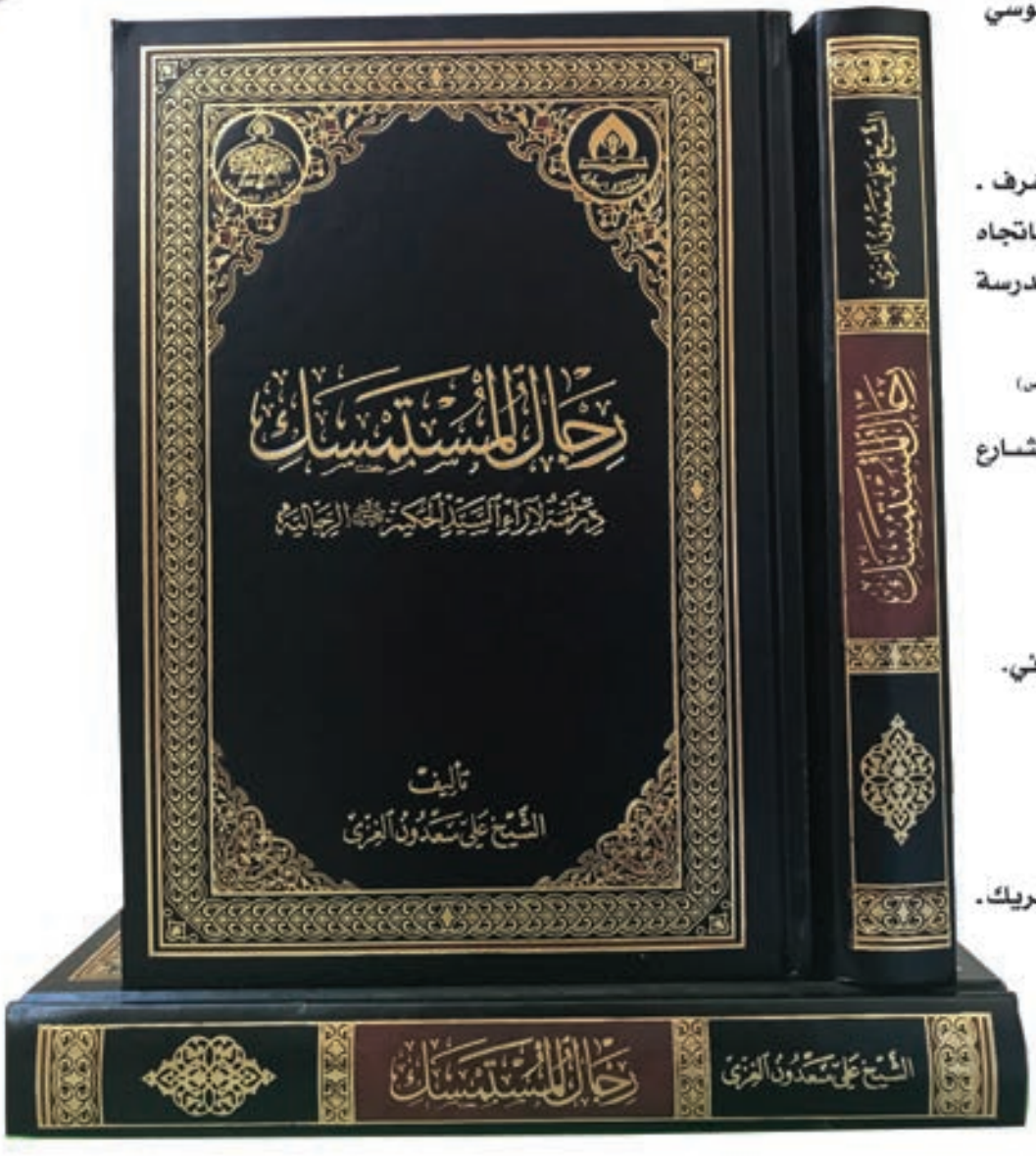

بغداد:

شارع المتنبي. مكتبة القاموسي

النجف الأشرف:

دار البذرة . النجف الأشرف . امتداد شارع الرسول(ص) باتجاه شارع المدينة . قرب مدرسة النضال: ٠٧٨٠٢٤٥٠٢٣٠

دار الهلال. شارع الرسول(ص)

دار المرتضى . فلكة شارع الرسول(ص)

إيران:

قم. انتشارات الامام الخوئي.

قم. مكتبة الرافد.

لبنان:

دار المؤرخ العربي. حارة حريك. قرب مسجد الحسنين.

البحرين:

مكتبة فخراوي

الأعداد التقريبية لطلاب الحوزة سابقا وحاليا

لقطات من تاريخ النجف وحوزتها

بقلم: ميثم مهدي الخلخالي

في ضوء كتاب النجف الأشرف وحوزتها للدكتور عبد الهادي الحكيم

عانت المؤسسات العلمية الدينية ومدارسها على مر التاريخ؛ كونها ضحية دكتاتورية الانظمة الحاكمة على مر الزمن والتي تحاول ان تسخر كل الجهود العلمية والفكرية لخدمة السلطة والترويج لشرعيتها الباطلة، باعتبار أن هذه المؤسسات هي الوحيدة تتناول أحكام الدين وفقهه، وبالتالي يمكن ترويضها لخدمة مصالحها، وذلك من خلالها الضغط عليها لاصدار المؤلفات والمصنفات التي تمجد السلاطين والملوك، ومابعدهم جاء الرؤساء لتثبيت دعائم حكمهم الظالم فعانت من جور الحكام كما نقرأ من خلال التاريخ في عهود سبقت، كيف تمت محاربة مدارس الاسلام الاصيل ورجالاته، وكيف تم تشريدهم ونفيهم للتخلص من بثهم الفكري الناصع الداعي للاسلام المحمدي الخالص، فكانت مدرسة أهل البيت عليهم السلام واحدة من أكثر المدارس العلمية التي تعرضت لهجمات نوعية من قبل الحكام، كونها غير قابلة للتطويع ولايمكن تغيير مسارها الذي اختطه لها أئمة أهل البيت عليهم السلام، ومن أهم هذه المدارس هي حوزة النجف الاشرف التي تعتبر المدرسة الأم لمدارس أهل البيت عليهم السلام المنتشره في البلاد.

وسنتطرق إلى معيار مهم الا وهو الاعداد التقريبية لطلابها سابقا ولاحقا والذي يبين لنا كيف تفاوتت أعداد الطلاب بين مد وجزر تبعا للظروف السياسية المعقدة التي مرت في العراق غالبا، فحين تخف ملاحقة السلطة واجهزتها القمعية لطلاب وأساتذة الحوزة تنمو اعدادها باطراد، وحين تتصاعد متابعة الجهات السلطوية تبدأ أعدادها بالتناقص. والحديث عما تعرضت له حوزة النجف الأشرف من جور السلطات الحاكمة مالا تتسع له هذه الصفحات.

بلغ عدد طلاب الحوزة مطلع القرن الفائت حوالي ١٥ ألف حين كان عدد سكان النجف الكلي لا يتجاوز ٣٥ ألفاً!

لم تكن هناك احصائية دقيقة عن اعداد الطلاب قبل وفي أوائل القرن العشرين وبالتالي نلجأ لتقديرات معايشة للواقع أو قريبة وليست تحقيقية، فقد نقل الباحث الاجتماعي الدكتور علي

الشيخ الآخوند الخراساني وهو يلقي دروسه مطلع القرن الفائت

الوردي من أن حوزة النجف شهدت ابتداءً من عام (١٨٢١م ـ ١٢٢٧هـ) أعظم عصور ازدهارها العلمي فشيدت المدارس الدينية الكثير وصار كل طالب علم في إيران أو غيرها من البلاد الشيعية يطمح أن يهاجر لها ليكمل دروسه العاليه وقد تجاوز طلابها عشرة الاف طالب[١]. ومما يدعم هذا التقرير ماورد عن بعض المطلعين من أن عدد طلاب العلوم الدينية قبل الحرب العالمية الاولى وتحديدا في أيام الملا محمد كاظم الخراساني المتوفى عام ١٩١١م لايقل عن عشرة الاف طالب[٢] وذكر البعض إنه لايقل عن ١٢ الف طالب[٣]. وذكر الرحالة المصري عبد الوهاب عزام[٤] ت(١٩٥٩م) عضو المجاميع العربية في مصر والعراق وسوريا وايران خلال زيارته للنجف وكربلاء عام ١٩٣١ إن عدد طلاب النجف تلك الآونة يزيد على عشرة الاف.

ولعل العدد يفوق ذلك في بعض الفترات فقد ذكر إن أعداد طلاب البحث الخارج للمرجع محمد كاظم الخراساني (الاخوند) بين (١٥٤٠ ـ ٣٠٠٠) طالب. وقد قدر الباحث فالح عبد الجبار[٥] وجود نحو ٦٠٠٠ ستة الاف فقيه في مرتبة الاجتهاد أو مايقاربها في حوزة النجف أواخر القرن التاسع عشر وهو تقدير أيدته بعض المصادر التي تناولت عدد الطلبة في النجف الاشرف أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين حيث قدرتهم بين (١٠٠٠٠ ـ ١٥٠٠٠) عشرة الاف إلى خمسة عشر الف[٦].

وقريب ما ذكره السيد أحمد المددي خلال حديثه عن عصر الشيخ الأنصاري(قدس سره) بقوله: في النجف وحدها كان يدرس ١٢ الف اثني عشر الف طالب وهو عدد كبير جدا تبلغ حصة الايرانيين منهم أربعة الاف والافغان والباكستانيين الفان[٧] وبالتالي إذا كانت هذه الاحصائيه دقيقه فالثقل الأكبر للوافدين هم من إيران وباكستان وافغانستان فيتبين لنا كثرة أعداد العراقيين الدارسين في حوزة النجف.

ونقلت رسالة نشرت قبل أكثر من عقدين بقليل وردت لمجلة المنار المصرية

١ـ لمحات اجتماعية د. علي الوردي ٣ـ٧٩

٢ـ المدارس القديمة والحديثة في النجف. الشيخ محمد الخليلي ٧٧

٣ـ المرجعية الدينية العليا عند الشيعه الامامية دراسة في التطور السياسي والعلمي د. جودت القزويني ٢٢٨

٤ـ رحلات عبد الوهاب عزام ٦٢

٥ـ الجواهري في النجف... الشعر والفقه... التمرد الاول فالح عبد الجبار ١ـ٢

٦ـ شيعة العراق. اسحاق نقاش ٤٥٥

٧ـ لقاء مع السيد احمد المددي مجلة التحقيق والحوزة عدد خاص عن النجف الاشرف ٧٠

الصادرة في القاهرة سنة (١٩٠٨م- ١٣٢٦هـ) نشرتها تحت عنوان (كلمات عن العراق وأهله لعا لم غيور على الدولة ومذهب اهل السنة) تعرض فيها كاتبها للتنديد بشيعة العراق الذين بلغ عددهم كما يقول الكاتب ثلاثة ارباع العراقيين محرضا الحكومة العثمانية عليهم.ثم عقب عليها بقبول مافيها وتاييده لها رئيس تحرير مجلة المنار محمد رشيد رضا وقد جاء فيها من جملة ماجاء فيها مع الاسف.

«النجف مجتمع مجتهدي الشيعة وفيه من طلبة العلوم ١٦٠٠٠ ستة عشر الف ودأبهم ان ينتشرون في البلاد ويجدون في اضلال العباد». [٨]

يقول الباحث فالح عبد الجبار في بحثه(١٠) ان طلاب العلوم الدينية قدروا مطلع القرن بنحو (١٥٠٠٠ - ٢٠٠٠٠) خمسه عشر الف إلى عشرين الف طالب من مختلف أصقاع الارض من اقاصي الهند وايران وتركيا وأذربيجان والخليج وجبل عامل.

وسواء كانت هذه الاعداد التقريبية لطلاب الحوزة (١٠٠٠٠) عشرة الاف أو ١٢٠٠٠ اثني عشر الف أم أكثر أو اقل فأنه نسبة لتعداد سكان النجف انذاك حسب بعض المؤرخين الذي لم يزد على(٣٥٠٠٠) خمسه وثلاثين الف لكبير جدا.

وجراء الحرب العالمية الاولى انخفض عدد الطلاب كثيرا كما يذكر ثم عاد تدريجيا حتى عهد عبد المحسن السعدون حيث بدا بالانخفاض سريعا بعد أن أقدم رئيس الوزراء عام(١٩٢٤م - ١٣٤٢هـ) على نفي أكابر مراجع الحوزة العلمية في النجف وعلمائها المعارضين لنهجه في الحكم خارج العراق. ثم عادت في الثلاثينات أعداد الطلاب بالتزايد تدريجيا أثر تقلد الامام أبو الحسن الاصفهاني ت(١٩٤٥م - ١٣٦٤هـ) والعائد من منفاه القسري زعامة المرجعية الدينية.

وهناك من أشار [٩] إلى أن عددهم خلال عام (١٩٤٧م- ١٣٦٧هـ) بلغ ٧٧٤ سبعمائه واربعه وسبعين. ثم تزايد العدد بعد عشر سنوات تقريبا ليصل قرابة الالفين طالب وذلك ما اثبتته الاحصائيه التي قام بها الباحث الدكتور فاضل الجمالي [١٠] والمتخصص بعلوم التربية ورئيس وزراء العراق وهو من المهتمين والمولعين بالبحث عن موضوع جامعة النجف فقد زار النجف الاشرف عام ١٩٥٧ ومكث فيه اسبوعا باحثا ميدانيا عن جامعة النجف الدينية وانظمتها التربوية ليخلص من دراسته إلى ان التركيبه الاحصائيه لعدد طلاب النجف في شهر ديسمبر ١٩٥٧ هي كالاتي (ايرانيون ٨٩٦، عراقيون ٣٢٦، باكستانيون ٣٢٤، التبت ٢٧٠، هنود ٧١، سوريون ولبنان ٤٧،

٨- مجلة المنار الجزء الاول المجلد الحادي عشر صفر ١٣٢٦هـ ص ٤٥

٩- مدينة النجف الكبرى. محسن عبد الصاحب المظفر شهادة ماجستير من كلية الاداب جامعة بغداد ١٩٧٥ ص ١٧٣

١٠- جامعة النجف الدينية. د. فاضل الجمالي مجلة شؤون اسلامية عدد٢ لسنة ١٤٢٠ ص١٢

البحرانيون والقطيف ٢٠) ليكون العدد الكلي ١٩٥٤ طالبا.

وعاد عدد الطلاب ليتزايد اثر انفراج نسبي في الوضع السياسي الداخلي ليصل في فترة من فترات مرجعية الامام الحكيم ت(١٣٩٠هـ ـ١٩٧٠م) إلى ٧٠٠٠ طالب[١١] حيث تمكن سماحة الامام الحكيم قدس سره خلال عشر سنوات أن يشجع الراغبين في الانخراط ضمن صفوف الحوزة العلمية فيرتفع عدد طلابها من ١٥٠٠ الف وخمسمائه إلى ٧٠٠٠ سبعة الاف وهي نسبة كبيرة جدا تصل إلى ٥٠٠٪ وتعتبر قياسية ضمن تاريخ الحوزة المعاصر.

ولم تكن الحوزة في تلك الفترة ونموها واتساعها بمعزل عن رصد الجهات الحكومية الظالمة واجهزته القمعية المقيته التي تربصت بها الدسائس والحيل للانقضاض عليها أو الحد من نشاطها وتاثيرها الداخلي والخارجي فتكالبت عليها الانظمة الطائفية لتفكيكها قدر الامكان وبشتى الوسائل فعمدت للتصفية الجسدية والاعتقال والتسفير الجماعي وغيرها الكثير وبهذه الظروف بدأت أعداد الحوزة بالتناقص تدريجيا فقد ذكر بعض الباحثين[١٢] ان طلاب الحوزة كانوا بحدود (٦١٦٤) ستة الاف ومائة واربع وستين طالبا بينهم ٤٠٠٠ اربعة الاف معمم في عام (١٩٧٣م ـ ١٣٩٣هـ) واستمر العدد بالتناقص فوصل لما يقدر بالفي طالب (٢٠٠٠) بداية الثمانينات

واستمر العدد بالتناقص نتيجة الظروف القاسية التي أقدمت عليها الحكومة البعثية لتحجيم الحوزة قدر الامكان ليصل عدد الطلاب إلى مايقدر بحدود ٨٠٠ ثماني مائة طالب فقط قبل الانتفاضه الشعبانية عام ١٤٢٢هـ ـ ١٩٩١م .

وبعد زوال الحكم الصدامي الجائر عام (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م) بدات الاعداد بالتصاعد تدريجيا ليصل إلى ٣٥٠٠ ثلاثة الاف وخمسمائة طالب عدا المبتدئين بالدراسة وماعدا الطالبات اللواتي بدأت تنشط حلقاتهن الدراسية الحوزوية نشاطا ملفتا للنظر فبلغ تعداد الحوزويين سنة (١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م) بما يقرب ال ٩٠٠٠ تسعة الاف طالب ومدرس.

وقد بلغت إحصائية ديوان المرجع الاعلى السيد السيستاني من أعداد من يتسلمون رواتب منظمه وفق الالية التي وضعها لتسلم الطالب الحوزوي راتبه ضمن ضوابطه ما مجموعه (٧٧٥٢) سبعة الاف وسبعمائة واثنين وخمسين طالبا وهي احصائيه غاية الدقة تبين من خلالها أعداد الطلاب الدارسين لاكثر من ٢٠ جنسية وعدد العراقيين منهم ٥٤٠٧ طالبا.[١٣]

١١ـ حركة الشعر واطواره في النجف الاشرف خلال القرن ١٤ ٣٧-٣٨

١٢ـ مدينة النجف الكبرى. محسن عبد الصاحب المظفر شهادة ماجستير من كلية الاداب جامعة بغداد ١٩٧٥ ص ١٧٣

١٣ـ مكتب الامام السيستاني

أسـئلة يجيب عنهـا بعض أسـاتذة الحوزة العلمية في النجف الأشـرف

ملحوظة: الأجوبة وفق فتاوى المرجع الديني الأعلى

السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله)

السؤال:

جدٌ للاب أو أب يريد أن يعطي ولده من الحق الشرعي لفقره فهل يجوز؟

الجواب:

أمـا الاب فلا يجـوز أن يعطي ولده الفقير من الحـق الشرعي، وأما الجد فلا يجوز على الأحوط وجوبا.

السؤال:

مـا حكم الدم النازل مـن المرأة بعد الاسقاط أو الكرداش؟

الجواب:

السقط اذا كان مضغـة أو علقة ففي ترتيب آثار النفاس إشكال، نعم إذا كان السقـط قد ولجتـه الروح فتترتـب آثار النفاس.

السؤال:

مـا حكـم السمك الـذي يموت في أحواض الباعـة، فـان الحوض يحوي كميـة من الماء ونلاحـظ إن السمكة فيه حية؟

الجواب:

تعتبر ميتة؛ لأنه مات فيما فيه حياته.

السؤال:

هل يجوز للمرأة عند وضع اللولب مراجعة الطبيبة لإجراء العملية ؟

الجواب:

إذا توقـف وضعه في الرحم على أن يباشر ذلك غير الـزوج كالطبيبة وتنظر أو تـلمس من دون حائل ما يحرم كشفه لها اختيـاراً كالعورة لـزم الاقتصار في ذلك على مورد الضرورة .

السؤال:

شخص يعزل مقدار من المال بعنوان الصدقـة في مكان مـن دون أن يوصله للفقير فهل تترتب آثار الصدقة؟

الجواب:

لا تترتـب آثـار الصدقـة الا بقبض الفقـير أو وكيله للمبلـغ وإذا حل رأس السنـة الخمسية فيجب في هـذا المقدار الخمس.

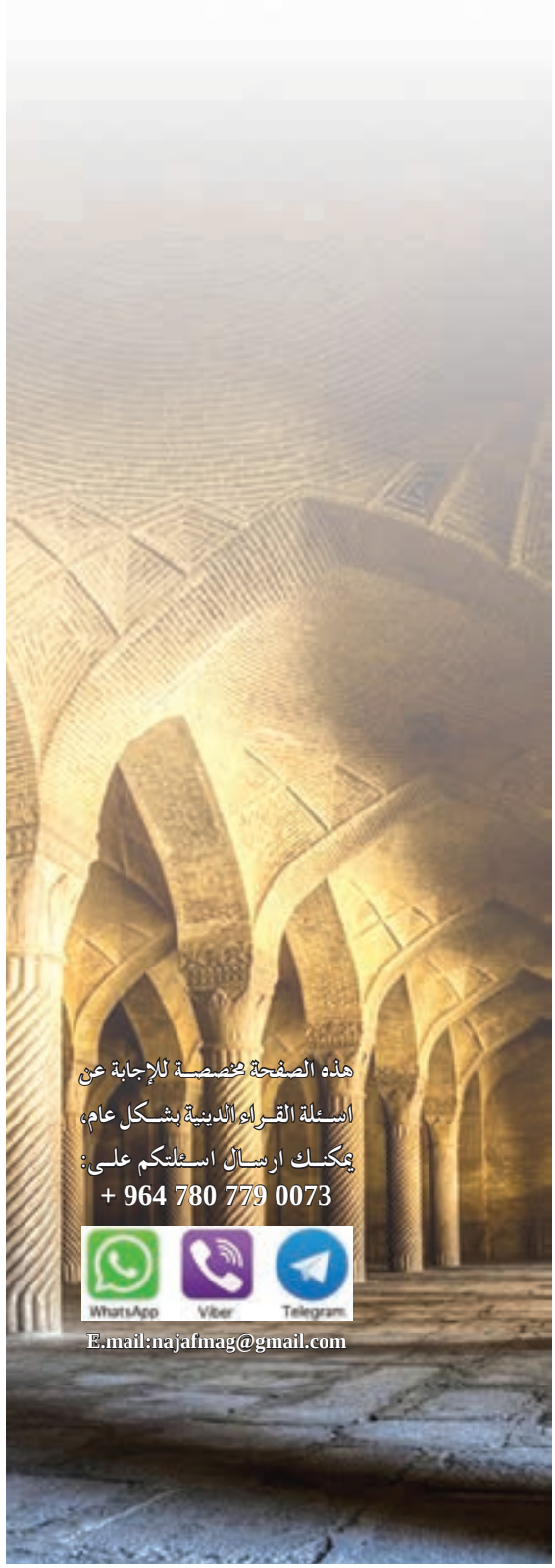

التثبت في الدين والقراءات التجديدية

بقلم: حسن الجوادي

تتدافع القراءات البشرية منذ القدم حول الدين من حيثية النشأة والاهمية وتكاد ترتفع الصيحات إلى سماء الفكر والثقافة اليوم التي تدعو إلى التجديد والتحديث، ولكل واحدة من المصطلحات المستعملة اغراض وقصديات قد يفهم الآخر ذلك وقد لا يفهم بحكم جدليات التعقيد والوضوح والتأويل المعاصر، الا أن المضمون العام لفكرة التحديث والتجديد لم تعد خافية أو مطمورة في ذاكرة قائليها، بل سرعان ما فهمت وعرفت وهضمت باعتبار كثرة من ينادي بالتجديد والتحديث وما أقل العامل بذلك إذ أن النقد الفارغ سمة الكثير اليوم لعدم تكلفته شيء ! واذا ما حانت ساعة الجد والرصف والابداع والعمل قل المنظرون وبقت كلماتهم معلقة في التلفزيون والجريدة وأذهان المستمعين لا أكثر ! ويزعم أن إثارة هذه الاشكالية غرضها تحرير الوعي الاسلامي من قيود الفكر الديني القديم الذي جاء به علماء الدين.. إذ لم يعد يتلاءم ومتطلبات العصر ولعل واحدة من المناشدات التجديدية هي الاستغناء عن فكرة النبوة بالمعنى السائد بالعلم، فهو الذي يكتشف به الانسان ما يقومه وقد ينبري البعض لإدخال العقلانية بصورتها الفضفاضة دون تحديد هويتها فينزلق معها الفكر الديني حيث تنزلق، فقد ظهر المذهب العقلي في ألمانيا حليفاً للدين، ولكن سرعان ما تبدى له أن الجانب العقدي من الدين غير ممكن البرهنة عليه، وكان السبيل الوحيد امامه هو الغاء العقيدة من سجل المقدسات، واستلال العقيدة سيطر مذهب المنفعة على الفلسفة الاخلاقية، وهكذا أتم المذهب العقلي مهمته بهيمنة الالحاد.

إن واحدة من أعقد المشاكل التي يمر بها المثقف العربي هي تصديقه بكل ما يقال ضد الدين وتصديقه أن التحديث والتجديد ممكن باي صورة مع الدين، بل أنه من الضروري أن تظهر فكرة التحديث والتجديد بما يتلائم والعصر والمتطلبات وهذه الجمل والمضامين تطلق دون أن تفهم بدقة، فهل يحتاج الدين إلى تجديد وتحديث حقاً؟ اننا بحاجة ماسة إلى فهم حقيقة الدين بروح صادقة وبعقلية معتدلة أكثر من مطالبتنا لعلماء الدين بتحديثه وتجديده! فلو درسنا الدين وبحثناه من عدة جوانب واتجاهات وتحققنا من مسائله التي طالما شغلتنا لاستطعنا أن نجد الحلول من الدين لها، بل ولفهمنا جوهر الدين، والمشكلة تكمن في أن الجيل الصاعد لا يفهم الدين ولا يفهم حقيقته ويطالب تبعاً لتأثير الميديا والمنصات الاعلامية بإيجاد أجوبة لأسئلته ذات مقاسات محددة وأطر منهجية سطحية للغاية!

إن ما تسجله الايام للسيد محمد باقر السيستاني هي دقة أجوبته وشروحاته واطروحاته عن الدين والمسائل المتعلقة به في زمن كثر به التشكيك ببعض المسائل الدينية والفهم المغلوط لها، فشمر عن ساعده ليقدم اطروحة مركزة دقيقة تليق بالرسالة الالهية في هذا الظرف العصيب على الامة وثقافتها وفكرها، فقد طرح في هذه الأيام أطروحة في فهم الدين بعنوان منهج التثبت في الدين والتي تجاوزت بمجموعها بما يقرب من ثلاثة آلاف صفحة موزعة على ثمانية أجزاء، وهي بذلك تعتبر اكبر موسوعة غير تقليدية تناولت الدين والموضوعات المثارة حوله بتحقيق وموضوعية ودقة عالية.

توزعت العناوين الدقيقة على هذه إصدارات هذه السلسلة تبعاً لما تمليه طبيعة كل موضوع، فحمل الأصدار الأول حقيقة الدين، والذي طرح فيه المصنف (حفظه الله) أن الدين رسالة الهية تشرح أبعاد هذه الكون وأنه يعطي رؤيته تجاه هذا الوجود عبر أربع رؤى اسماها بالمعرفية والانسانية والكونية والتشريعية فاعتبر هذا الجزء هو المفتاح للجزء الثاني الذي يعنونه باتجاه الدين في مناحي الحياة ليرسم به بمعية الاصدار السابق آلية فهم الدين والتي اعتبرها مبنية على ركنين، اولهما رؤية الدين للحياة وثانيهما موقف الدين من جوانب الحياة وموضوعاتها.

واذا ما كان لكل بحث من أداة فان منهج التثبت في الدين اداته العقل وما يدركه وما يتوصل اليه، وهذا الادراك والفهم والوعي يكون على نحوين:

١- ادراك نظري كشعورنا بوجود الكون وتفاصيل الحياة والتي منها شعورنا بوجود انفسنا وغيرنا من الناس واحتياجاتنا وتفاعلنا مع المحيط الذي نعيش فيه، ومن يرى لا قيمة للإدراك الانساني فهو متوهم لان حكمه هذا يعتبر نحو من الادراك.

٢- ادراك عملي(اخلاقي)، فإن الانسان يدرك أن هنالك أفعالاً تنبعث منه واحكام ذاتية يراها خارجة من نفسه، وبتعبير القرآن الكريم هي الفطرة التي فطر الناس عليها، وتعتبر المصدر الام للأحكام الشرعية، فهي أشبه بالجهاز الذي يتوافق معه النظام الذي يعد له مسبقاً، وتلك القوانين يؤمن بها الجميع، لأن حياة الانسان تسير وفق القوانين والانظمة وهي وليدة الفطرة وقد يرى كل البشر أهمية التمسك بالخلق والفعل النبيل.

إذن ينطلق البحث من البديهيات التي يؤمن بها العقل ويقر بها طبع الانسان وفطرته ولا شك ان البشرية كلها توافق على تلك البديهيات والقواعد الحياتية اجمالاً، فيكون البحث بداية الحجة التي تلقى على الجميع.

إن من مميزات هذا الطرح الجديد هو بيانه أن الدين يرتكز على القضايا العقلية في نهجه فاذا راجعنا القرآن الكريم والنصوص الدينية نجدها متوافقة تماما مع منطق العقل وإدراكه لا سيما في تناول الموضوعات الهامة، فالإسلام في مقام الاقناع والقبول يتبع منهجية منطقية عقلية دقيقة، وهذا المنطق والحجة العقلية هو نفسه منطق الانسان تجاه القضايا الاخرى وهو منهج قد فطر عليه الانسان وبالتالي فان الله لا يخالف هذه الفطرة ويجعل طريق دينه موافق للفطرة، بل هو منسجم معها ومكمل لدورها، وحين نطالع الآيات التي تخص التفكير والتأمل والتنبه والتدبر نجدها توافق العقل في إدراكه النظري وحين نطالع الآيات التي تدعو إلى الايمان والشكر والطاعة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنها توافق الجانب السلوكي والنظامي للعقل لأنها مواد أخلاقية، وهذا لا يعني أن الدين في مقام إقناع الناس لا يستعمل المعجزة في مقام التحدي، بل ما قدمت المعجزة الا كونها توافق العقل، وهذه من تربية القرآن الكريم والدين الاسلامي، ومن ثم ارتكاز الدين على الفطرة وجعلها المشرع الاول والاساس الذي يعتمد عليه الخالق في التشريعات التي ينزلها للإنسان عبر رسالته (القرآن الكريم) ويرى المصنف أن الدين ينطلق ويعتمد اعتماداً كبيراً على الفطرة ولا سيما انطلاقته من الاتجاه الفطري في كل منحى من مناحي الحياة، وهذا ما يوضحه في موقف الدين من العلم والقانون الوضعي والاخلاق والسلوك، (فللدين وفق مبادئه الفطرية الضاربة في جذور الانسان والاسعاف الالهي من خلال نصوصه اليقينية اتجاه معين، إلا أن امتداداته التي يكتسبها على الساحة العلمية قد تؤدي إلى انحرافه من جهة عوامل مختلفة، مثل الأخطاء الفكرية والحواجز النفسية والميول المؤثرة على الادراك الانساني التي تؤدي إلى انحرافها بعض الشيء عن مسارها) ويندرج مع ذلك كل الكلمات المتسرعة التي تستخف بالدين إذ أنها تنطلق بلا رؤية ولا مستمسك وثيق ولا وقفة جادة تعبر بالباحث إلى التحقيق والالتزام الموضوعي وإذا كان ثم انتقاص من الدين أو الفكرة الالهية فان السيد يطرح في الاصدار الثالث من السلسلة معادلة في فهم احتمالية خطر مخالفة الدين أو انكاره وهي أطروحة موضوعية فطرية عقلية، فلو جردنا من تفكيرنا الديني وقلنا نحن أمام مسألتين إما ان يكون هنالك اله أو لا يكون، فإذا لم يكن لا شيء مخوف اذن وان كان هنالك اله ومن ثم دين فالأمر معقد ومخيف، وهذا التعقيد والخوف يظهر كاحتمال لا ينبغي مخالفته بالنسبة للعقلاء، وهذا الطرح العقلي يعالج الموضوع بطريقة فلسفية نفسية، ويوثق أهمية الاعتقاد الديني وخطورة مخالفته، فعلى حد تعبيره أن «حياة الانسان اما لحظة عابرة في التاريخ الممتد للكون، على حد اللحظات التي تعيشها الحيوانات التي تموت فتقبر وتمحى من صفحة الوجود، واما هي حياة خالدة ببقائه بعد الممات في نشأة أخرى». فينتقل في الكتاب الرابع إلى الحديث عن اثني عشر قاعدة فكرية فطرية، يجعلها الاساس في الحديث حول الدين وتقبله ومعرفته ويجيب على اسئلة وتطورات الفكر الانساني والتي منها مناقشة ادوات المعرفة وعدم حصرها بالتجربة، ويعالج موضوعة طرح الدين من قبل بعض المفكرين كونه لا ينسجم وما توصلت اليه البشرية، ومن تلك المعالجات هي تشكيك البعض بعدم وضوح الارتباط بين الخالق والنظام الذي يؤمن به المؤمن كدليل أبرز على وجود الخالق، فقدم سماحته اجابة دقيقة مفصلة ملخصها أن المنتقل اليه عن طريق النظام هو موضوعة غير مادية فلا انسجام بدوي يظهر من ذلك والامور غير المادية هي ظاهرة غريبة وغير مأنوسة للفكر الانساني، كما أن اعتياد الانسان على النظام الكوني القائم يجعله لا يرى بدقة للوهلة الاولى ذلك الارتباط، فيكون السر في عدم الانتقال الواضح من الكائنات إلى خالقها هو خمود الشحنة الدلالية فيها على الخالق من جهة أن مشهد هذه الحياة أكبر من الانسان بكثير، وقد نشأ الانسان في هذا المشهد وبالتالي غياب هذا الارتباط للوهلة الاولى وانسه بما يراه لا أكثر، وهذه قاعدة عامة في شأن النفس الانسانية وهي خمود الاشارات الدلالية والاخلاقية والحكمية للأشياء احياناً لدى الانسان بالمعايشة والاعتياد حتى كأنه لا يشهد ولا يحس بتلك الاشياء.

إن مضمون الدين بهذا الطرح ليس مجرد معلومات إضافية عامة أو تخصصية يراد تعليمها للناس أو لفئة خاصة منهم، كما هو الحال في معلومات العلوم المختلفة، بل مضمون الدين يرجع إلى رؤية أخرى حول حقيقة الانسان وقابلياته الذاتية، حيث إنه يقتضي وجود بعد آخر لوجود الانسان غير هذا البعد المادي يتأتى له من خلاله التواصل مع ما وراء المادة من خلال عقله وقلبه.

يواصل سماحته هذه السلسلة بنفس الخط والطريق الذي رسمه لها، من خلال اضافة ثلاثة اجزاء تتحدث عن الانباء الكبرى في الدين (الله والرسالة وخلود

الانسان) وهذه الثلاثية من هي الاصل الثابت للدين والذي ينسجم مع المعيطات الفطرية والادراكية للإنسان، فتحمل بين طياتها تصورات وتحليلات جديدة للكثير من المفاهيم الدينية محققة بذلك مجموعة ايضاحات لتساؤلات كثيرة فان مسألة الإله تعد من أعقد المسائل التي تناولها كبار الباحثين وهي بحق من أخطر المسائل كون إهمالها يجعل الانسان مضطرب البال والحال والبت فيها بتسرع يوقعه في مشاكل من حيثية أخرى، فهي تحتاج إلى تأمل ودقة وتثبت ويتبعها الرسالة التي انزلها للناس جميعاً ومن ثم ـ حياة ما بعد الموت ـ محتوى هذه الرسالة الاكبر والذي تؤكد عليه كثيراً.

إن من مميزات هذه السلسلة الفكرية الرائعة هو بيان المسائل الفكرية والدينية بطريح مهذب غير متعال يمتاز بشفافية تتناسب والطرح المعاصر، إذ أنك تلمس أدب مؤلفها بدقة متناهية، فلم تجد عبارة تحامل أو تشنج أو قساوة على أي فئة فكرية أو ثقافية، فتجد صدق النية في الطرح والغاية من ورائه، ويكفي انها صدرت في زمن كان تصدير الشبهات على الدين بطولة وشجاعة، وأحسب أن القارئ الفطن سيجد أنني لم أضع يدي على دقة ما طرح في هذه السلسلة الفكرية الرصينة. فهي اطروحة جادة في فهم الدين فلم تصدر للإقناع والمجادلة كما ذكر المصنف في أول اصدارات السلسلة، انما هي لإعانة الباحث الجاد في الدين على فهم حقيقته والتبصرة في شأنه، والكتاب ناظر إلى الشباب بشكل خاص من الطلبة والجامعيين لأنهم الاكثر تعرضاً لمفاهيم الدين والاثارة المتعلقة به المستمرة ولا شك أنه نافع ومفيد للجميع، ولما كان المصنف على قدر من العلم والموضوعية يحسن بنا كعقلاء اولاً وكقراء ثانياً ان نتدبر إلى كلمة موجزة مهمة كتبها في نهاية هذه السلسلة والتي عنونها بتجربتي مع الدين نقتطع لكم منها ما يلي:

أشهد أني انتفعت بالدين انتفاعاً كبيراً، فقد أضاء عقلي وحفز تفكيري وأنار ضميري بحقائق نبه عليها وآفاق كشف عنها.

فقد نبهني على وجود الله سبحانه على نحو تنبيه الغافل على شيء يجده بنفسه بعد تنبهه، ففسر لي بذلك ما أجده من النظم والروعة والجمال والابداع في هذا الكون.

وحثني الدين على الاتصاف بالعقلانية في الامور كلها من خلال التأمل والتثبت والتفكير، ونهاني عن التسرع والاستعجال، وحذرني من الاوهام والخرافات، وشجعني على تعلم الحكمة والازدياد منها مدى الحياة، والاعتبار بالحوادث، والاتعاظ بالامثال، والتعلم من تجارب الآخرين.

وأفصح لي الدين عن خالق يرعى الانسان، فكان مصدراً للمطأنينة والسكينة والتسلية والأمل، حيث أتعبد له بما اوصاني به من العبادات اليسيرة تأدباً معه وشكراً لأنعامه، وايفاءً بحاجاتي المعنوية والروحية، أبث اليه سبحانه همومي واناجيه في ذات نفسي، وأثق برعايته لي في مصاعب الحياة من حيث أحتسب ومن حيث لا أحتسب، وان كنت اعلم أن هذه الحياة سنت على سنن الاختبار والاجتهاد، ولكنه يبارك لي في ثوابت مقاديرها ويرعاني في متسعاتها ويحسب لي الأجر في مضائقها.

وقد أكد لي الدين على مكارم الاخلاق، فدعاني إلى الصدق في الكلام، وترك القول بغير علم، والايفاء بالوعد والالتزام، وتجنب الاساءة إلى الآخر، والاحسان إلى المسيء، والشكر على الاحسان، وحب الخير للآخرين كما أحبه لنفسي، وكراهة الشر لهم كما أكرهه لها، والتواضع مع الناس، والاعتدال في السلوك، والصفاء في النفس، والانصاف للغير، وتجنب التعلقات المفرطة والمذلة بالامور المادية، وتجنب المباهاة بها واثارة روح التنافس لدى الآخرين في شأنها، ومراعاة العفاف في النظر والمظهر والتصرفات كلها، والحزم في مواضعه، والاعتماد على النفس ما أمكن، والكد في سبيل تحصيل الرزق الحلال، ومواساة الفقراء والاعتذار عن الخطأ والاستغفار من الخطيئة، ومحاسبة النفس، والطموح في اكتساب الفضيلة، والتجاوز عن المخطئ إلى قيم فاضلة أخرى.

واوضح لي الدين أن هذه الحياة ليست هي الغاية ولا النهاية، بل هي البداية لمسيرة طويلة يختبر فيها الناس في المعرفة والفضيلة، فيلاقي المرء غداً ما يعلمه اليوم بعينه في مشهد تنصب فيه موازين القسط، فيكون للناس درجات بحسب اعمالهم واخلاقهم، ويكون لكل انسان ما سعى، فبدل لي هذه الحياة إلى الجد بعد اللعب، والترقب بعد التلهي، حيث فتح لي آفاقاً لا استطيع ان اتصورها من عظمتها مما تصغر في جنبها هذه الحياة بكل ضجيجها وضوضائها لما كشفه من حياة خالدة فيما بعدها، فصرت أجد كل عمل أعمله امام عيني وأيقن أني ملاقيه غداً خيراً كان أو شراً، في مشهد يجتمع فيه الناس جميعاً ويتميز في السابقون إلى المعرفة والفضيلة في هذه الحياة.

ونبهني الدين على أهمية معرفة الحقيقة التي عرفنيها، للاهتمام بالحفاظ عليها والتبصر بها وايقاظ الآخرين للانتباه اليها والالتفات إلى خطورتها بالحكمة والموعظة الحسنة، من دون احراج أو اكراه.

فتلك امور خطيرة ومهمة تعلمتها من الدين وبقيت عليّ عهدة العمل بها والاجتهاد في سبيلها، أسأل الله سبحانه التوفيق والتسديد في ذلك.

هذه شهادات يشهد بها عقلي ونفسي، شهادة نابعة عما انتهى اليه تبصري لنفسي في هذه الحياة بالنظر في الكون والكائنات وفي الرسالات الالهية، وقد تجنبت في أمرها عوارض التلقين وشوائب التقليد ودواعي الاستقطاب.

العتبة العباسية المقدسة

الطحالب البحرية
Ascophyllum Nodosum

مستخلص طحالب بحرية ١٠٠%

تحتوي على أكثر من ٣٠٪ مركب طبيعي و٤٥٪ k2o

محفزات النمو الطبيعي

اوكسينات . جبرلينات . سايتوكايتينات . أحماض أمينيه . كاربوهيدرات

عناصر صغرى/ مغنيسيوم . كاليسيوم . زنك . بورون . حديد . كبريت

نحاس معدل الاستخدام / ١٣ . ٣ ملم لتر ماء رش.

العنوان: كربلاء المقدسة: طريق (كربلاء ـ نجف)

شركة

الكفيل

للاستثمارات العامة

من منتجات مجمع الجود لتكنولوجيا الزراعة الحديثة

الفوائد:

١- يعمل على زيادة المجموع الجذري.

٢- زيادة تحمل النبات للملوحة العالية.

٣- تحمل درجات الحرارة المنخفضة والعالية.

٤- دعم وتحفيز المناعة المكتسبة الجهازية.

٥- يطيل من العمر الانتاجي للمحصول.

07602329937 | 07830061886 | www.alkafeelinv.com istthmari@yahoo.com

ساهم في

كفالة يتيم

مؤسسة العين للرعاية الاجتماعية
منظمة غير حكومية ذات نفع عام

ولا يحزنوا ولا تحزن

مقدار المساهمة الواحدة

25,000

6777

aynyateem.com